رواية آل السموأل

ذات مقدمة واربعة فصول

بقلم الاب خليل اده اليسوعي

رأت مجلة المشرق ان تعمد الى نشر رواية السموأل للاب خليل اده اليسوعي وقد اصابت في رأيها فانها بعملها هذا تخدم معً عشاق التمثيل المسرحي وطلاب الادب العربي خدمةً جلى قدر رواية السموأل تسمو بموضوعها على سائر الروايات والسموأل بطل الوفاء يظهر فيها أسوة جليلة لا تماثل أسوة الوفاء ميزة النفوس الكبيرة خصوصاً وقد عاش في ازمنة وسموها بالجاهلية في اوائل القرن السادس.

والرواية تحفة ثمينة يقدمها المشرق هواة التمثيل ولقدري الادب العربي سواء فانها تمتاز بفنها وسلامة لغتها وقد هم مؤلفها في التدقيق في طبع ابطالها وانفعالاتهم النفسية اياه حوادث خطيرة وقد أحسن فيها فكرته الناهدة فحبكها تحليلاً دقيقاً فاظهرهم على حقيقتهم التاريخية فرداً فرداً. ولغة المؤلف سلسلة رقيقة بالفاظها سهلة بتعابيرها جلية انيقة في معانيها هي اللغة العربية بصراحتها وجزالتها وصفاء رونقها: لغة ننسى بتعلمي العربية في ايامنا ان يتخذوها مثالاً وان يتحاشوا تقليد كثيرين من مؤلفي عصرنا الذين تدربوا على اللغات الاجنبية فاقتبسوا منها تراكيب معقدة وتعابير غريبة يصعب فهمها واللغة العربية هي منها براء. وهؤلاء نفسهم يشهدون على غرابتها وتعقدها وصعوبة سبل معانيها اذ يلجأون لتقريبها الى الاذهان الى استعمال شتى النقط والعلامات الكتابية يدرجونها في انشائهم ليساعدوا قراءهم على فهم ما يكتبونه: والعربية الصحيحة لا حاجة لها اليها لو احسن الكاتب معرفتها باخذها عن اصحابها لا عن اللغات العربية.

ف. ق.

اسماء المشخصين

السموأل	(٦٠) سنة
عاديا	ابناء
دارم	
امرؤ القيس	
معاوية	ابنه (١٣) سنة
يزيد	ابن عم امرئ القيس
الربيع	بن ضبيع الفزاري شاعر دليل امرئ القيس
الطماح	من بني أسد عدو امرئ القيس وعامل للمنذر ابن ماء السماء
شجاع	مولى عاديا
سرور	مولى دارم
فاتك	يأتي رسولاً من عند امرئ القيس
سلمان	من فرسان السموأل
نسيب	
رسول	الملك
غلام	

جند وفرسان

المقدمة

امام الابلق : واحة نخيل ـ في آخر المرسح شمالاً حصن السموأل

المشهد الاول

امرؤ القيس . معاوية . يزيد

يزيد : ها قد بلغنا المقصدَ يا ابن حجر . فدونك حصن السموأل بن عاديا .

هو الابلقُ الفردُ الذي شاعَ ذكرهُ يعزُّ على مَن رامهُ ويطولُ
وما اصلهُ تمتَ الثرى وسما بهِ الى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ

فأبشرا بزوالِ العناء وطلوع النجمِ السعد .

معاوية : الحمد لله . فقد نجونا من المخاطر ووصلنا الى ملجاء حصين . والحق يقال اني ساغبٌ لاغب . فقد أعياني الترحال وسئمتُ من ركوبِ الرحال . وتاقت نفسي الى الراحة .

يزيد : ولتصبحنَّ يا بنيَّ في ارغد بيش . لان السموألَ جوادٌ لا يُشقُّ لهُ في ميدانِ الكرمِ غبار (يلتفت الى امرئ القيس فيراه غائباً) . مالي اراكَ كالح الوجهِ منقبضاً كأنكَ تُقادُ الى سجن . فهل برّحَ بكَ ما قاسيناه من مضضِ النوى ومعاناة الاسفار ؟ عهدي بك يا ابن العم اقوى عوداً واصلب عظماً .

امرؤ القيس : لا يا أبا عمر لم تكن الاسفار لتهدَّ ركني وتُنهكَ قواي وقد طالما ركبتُ المفاوز . وجبتُ الصحاري منذ ترعرعتُ . فلم يطب لي يوم ولم يهنأ لي عيش الا على ظهور المطايا بين وعول الجبال وسباع الادغال . إلّا أني أراني كالمُلقى من سُباتٍ عميق . تشجمتُ المخاطر . واقتحمتُ الاهوال ولمَ ؟ لاستجيرَ بالسموأل . بعدوّي . فاينَ الرأيُ منكَ يا ابنَ حُجر . فقد والله أوهت الشدائدُ بصيرتك وذهبت بحجاك . فمن يلوذُ بحصنهِ ويرقى في حصن من ناواه . . . يا يزيد ارجع بنا . فلمرتُ فريسة السباع . او صريع الاعراب خيرٌ من الالتجاء الى امرىء أهنتُهُ وهجوتهُ .

يزيد . ويحك يا امرأ القيس ما هذا الكلام . بعد الذي ذقته من مرارة الفرار . وقاسيناه من خذلان الموالي واذا صح ما ترجع الى الوراء . أحين أزفت ساعة النجاة تعرض ارواحنا ثانية لأنياب المنايا ؟ اين الحزم . ألستَ القائلَ تعزيزاً .

تشدّد اخي لا تلقَ عينك انها تحاولُ ملكاً او تموت فتعذرا

أفمن يُحاول ملكاً يُحجمُ عند بلوغ المنى . افكر سنح . او هاجس خطر ؟

امرؤ القيس : لا تَلُمني يا يزيد . فقيلَ ابي غيلة فلم اجزع ولم أترك دمه يطل حتى اثرتُ على قبائلَ العرب جمعاً . خذلني الحارث بن شهاب . فلم أبالِ . أعرضَ عني ابن أُنذر من جمعي واياهُ رباطُ الرحم فلم اوحدْه . خانني هانئ بن مسعود فلم أيأس . ولكن لما رأيت نفسي امامَ السموأل مستجيراً بابٍ مُستغفراً على مساءِ الحياء في وجهي فتذكرتُ واحجمتُ ذاك الذي هجوتُه بأبياتٍ سارت في احياء العرب فنكست اعلامَهُ . آتيه لائذاً به مستعصماً بحبله ؟ وبأيّ وجهٍ أتلقاهُ . وبأيّ حديث أفاتحهُ . أأقول لهُ مالكُ كندةَ أتمّ اليك فاعفُ عنه واجرهُ . لا وثأرِ الحق لا رضيتُ بهذا الذلّ ابداً ... واني لأعجبُ مني كيف انقدتُ لرأي الربيع لما أشارَ عليَّ بالوفودِ على السموأل وبيننا ما بيننا . غيرَ انَّ المصائبَ أسكرتني فرحتُ كالشاربِ المترنّح أهيمُ على غير هُدى ... لا يا يزيد لا تطاوعني النفسُ بالتذلّل .

يزيد : يا ابنَ حُجر . صبرتَ على أهوالٍ يشيبُ لها الطفلُ الرضيع . فلا تجزع لأوهامٍ يُحيّشها الظلام ويبدِّدُها نورُ الصباح . فقل لي ناشدتك الله ومن يذكرُ ما حملك عليه ترقُ الشبابِ وقد مرّت عليه الاعوام . ثمّ انَّ السموأل لا يعرفك وجهاً لوجهٍ . فما علينا إلا ان نستجيرَ به استجارة الملهوفِ بالكريم فانهُ لا يستكشفُ أمرَ أضيافه . ولا ينبشُ عن مخبّى من أحوالهم . فلنودعنّه وديعتك ولدكَ معاوية وادراعك الثمينة . وتذهبنَّ مستنجداً بملكِ الروم . وانتَ آمنٌ على من تخافُ على نفسك .

ا. ق: حبذا الرأيُ لو لم يكن من المحال أتظنُّ أني لا أجدُ في حصن السوالِ مَن يعرفُني وعيونُ المُنذر منبثةٌ في كلِّ الانحاء . . تهيجُ عليَّ الأعراب وتتوقعُ فرصَ الايقاعِ بي ؟

يزيد : انك متنكر ينكرك اهلك فقد غيَّر احوالك لفح السموم فضلًا عن توالي الهموم .

ا. ق: وهب ان افتضح أمرنا ؟

يزيد : اذا أمنك السوال منك حتى من نفسه .

معاوية : (برحم وكان قد ذهب يتفرج) ابتِ ما لنا واقفين فقد اعياني السفر واضنكني الجوع .

ا. ق: (ينظر اليه برقة فتدمع عيناه) .

يزيد : بحق ولدك يا ابن حجر . هلّا ترحم غضارته فلو كان لنا غير السوال ملاذًا لأويناه ولكن سُدَّت في وجهنا السبل قاطبة فاما الموت مع ولدك وخلفك الوحيد واما الاستغاثة بابن عاديا .

ا. ق: (ينتهد) صدقت يا يزيد . لا يجوز لي ان استكبر في جانب وحيدي شيئاً (الى معاوية) مهلًا بنيَّ فان الربيع لا يلبث ان يأتينا بالاذن على السوال. فاني ارسلته يتنسَّم اخباره ويطلعه على احوالنا (الى يزيد) عساه يبشرنا بما يرفع عن عاتقي العب. الذي انا حامله . وايم الله يا ابن العم لولا هذا الغلام لما رأيتني افترش غير لبد خيلي ولا ارتاح الا على صهوات أفراسي . لولاه لما أصليت الأعراب قاطبةً نار حربٍ عوانٍ لم يخمد لهيبها . بل لقلت على الدنيا وعشاقها السلام واعتزلت في بعض الفيافي اكفّر عن ذنوب حياتي الى ان ارى وجه ربي . . . الا ان للاولاد على الآباء حقوقاً مرعية هي نفوسٌ مفدية يطالبنا بها الديان في الموقف الرهيب.

يزيد : نعم الرأي ولقد كاد ينفّس كربتنا ويفرّج ضيقتنا ولنبيتنَّ في الابلق على احسن حال . فقد جئتُ قيصر وجئت النعمان فلم ار لضعيف نازل ولا لمجتدٍ مثله ولا مثل صاحبه فهو لا شك يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك . وهذا الربيع يحمل الينا اخباره .

المشهد الثاني

ا. ق ، يزيد ، معاوية ، الربيع ، (يرى معاوية الربيع يقوم ويأتي اليه مستبعداً .

معاوية : هلّا ندخل الحصن .

الربيع : عما قريب يا بني .

يزيد : ما وراءك يا ربيع ؟

الربيع : خيرٌ انشاء الله فاني دخلت القصر مستخبراً. فأنبئت انّ السموأل خرج في فرسانه ورجاله لبعض غزواته وانه لا يلبث ان يرجع فان القوم في انتظاره .

يزيد : أوَليسَ في الحصن من يجيرنا ؟

ا. ق: ومن ارضى غير السموأل مجيراً .

يزيد : (على حدة) تحدثني النفس بالتشاؤم من غيبة صاحب الابلق .

ا. ق: قفوا بنا هنا نتوقع قدومه . يا ربيع اسهر على الانقال . وليكن رجالنا على حذر والخيل مسرجةً لئلا يداهمنا مكروه .

الربيع : اننا لفي امنٍ فما من احدٍ يجسر على انتهاك حرمة الابلق .

يزيد : (على حدة) ما احرج موقفنا .

معاوية : (وقد ارتمى على الحضيض يأخذ آلته ويدق عليها ثم يغني) .

أتاني واصحابي على رأس ضَلْعَةٍ ... حديثٌ أطار النومَ عني فأقلعا
فقلتُ لعجلي بيد مآبهُ ... تبيَّنْ وبيِّنْ لي الحديثَ المجمجما
فقال : أبيتَ اللعنَ عمروٌ وكاهلٌ ... أباحا حمى حُجرٍ فأصبحَ مُسْلَما

يزيد : أحسنت يا بني أحسنت .

ا. ق: فقال : أبيتَ اللعنَ عمروٌ وكاهلٌ أباحا حمى حجرٍ فاصبحَ مُسْلَما
(يردد البيت مرة واحدة)

الك الشكر مني اطيبه يا عزيزي. فقد هيّج غناؤك في قلبي ذكر العهود.. وحقّ حبك يا حجر لست بناسٍ ما وكلت اليَّ انجازه . آثرتني على اخوتي وانا اصغرهم. وخصصتني بوصيتك فلا وثوبتك لا رجعت القهقرى

حتى أدرك بثأرك واسترجع ملك آبائك . . . غنّي بنيّ ذنيةً غنّي جعلت فداك عساك تستنهض عزيمتي وتنشّط قواي .

معاوية بيد الغناء وبينما هو مشتغل يظهر على المرسح عن بعد عاديا ومولاه شجاع فيسمعان الغناء ولا احد يراهما حتى اذا قطع معاوية الصوت صاح به عاديا .

المشهد الثالث

الاشخاص عينهم . ثم عاديا وشجاع

عاديا : أطرب بالمغنّي الفتيّ ما أرخم صوته وما أشجى لحنه (معاوية يضطرب . امرؤالقيس يتلثم) لا تخف فان عاديا بن السموأل لم يبغ قط ببني السابلة شرًّا (يلتفت الى الباقين) عمرا مساء ايها الكرام .

الكل : حيّاك الله وبيّاك .

عاديا : ارى آثار الطريق عليكم بائنة فكأني بكم تطلبون مأوىً تبيتون فيه فياكم الابلق حصن السموأل بن عاديا فادخلوه آمنين .

ألا فادخلوا حصنًا منيعًا فجارُنا عزيزٌ وجارُ الاكثرينَ ذليلُ
بأرواحنا نفدي الدينَ نجيرهم واموالُنا للسائلينَ تبلُ

الربيع : اصبت المرمى يا ابن السموأل فانا اياكم قصدنا ولكن انبئنا بغياب الامير ابيك فرقفنا ننتظر إيابه .

عاديا : أويضيق حصن السموأل في غياب صاحبه عن قبول الضيف . لا وأبي ليس الامر كما توهمتم فان الابلق ملجأ الضريك ومنتاب الشريد غاب صاحبه ام حضر فان كل من ينتمي للسموأل متخلق باخلاقه مؤتمّ بكريم فعاله ولئن عدمتم أنسًا يضيفكم لتطقن جدران المنزل بالتأهيل سيّما ان اتيتم مستجيرين .

يزيد : (على حدة) هو الله ارسل لنا ملاكه نصيرًا (لعاديا) عش لا تنكد ايها السيد الفتى فلأنت اشبه بابيك من الماء بالماء ولو لم تنتسب لافصح كلامك عن طهر اورمتك وشرف جرثومتك . نعم أتينا مستجيرين . فهل لكم ان تجيرونا .

عاديا : يا ما أحيلي اجوب لقد طالما توسمت في يوم اني فرصة تمكنني من ضيافة غريب او اغاثة ملهوف حتى ينست من الفوز وحزنت من امساك يديّ عن المعروف . فأهلا بكم فاني مجيركم ولو من المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (يلتفت الى معاوية) لقد أخذ التعب منك مأخذه فادخل واستريح وابق عندي ما شاء الله واذا طابت نفسك تغنيني فان الغنا احبُ شيء اليّ ولا أطلب جزاء منكم سواه .

ا. ق: الإفضال وعدم امتنان . فبأيّ لسان نشكرك يا أشهم العرب .

عاديا : (لولاه) هيا بنا يا شجاع أدخل القوم ومتاعهم ومطاياهم وحضر في المنزل احسن مقاصيره .

شجاع : سمعاً وطاعة مولاي (يخرج) .

يجتاز المرسح في آخره فرسان دراية ورماح من اليمين الى الشمال حيث حسن السؤال فعندما يقول عاديا : هذا ابي الخ . ثم يتوجه الى مكان ابيه . في اثناء ذلك يدخل الطلاح مع بعض رجاله من الكواليس الثاني وعندما ينتهي من الكلام يدخل السؤال من آخر المرسح حيث قابله عاديا ومع السؤال دارم عن شماله ووراءهم الفرسان اي منزور فائك نصيب وسابان الخ .

عاديا : وانتم يا كرام أدخلوا بنا . (تسمع حلبة) هذا أبي راجع مع اخي دارم وقومه .

ا. ق. وي. : (وقد عرفا الطلاح) الطلّاح !

ا. ق : يا لله .

يزيد : هلكنا لا محالة (لامرئ القيس) ثبّت ايها الامير .

الربيع : انما الزما السكوت فانا وحدي بالنطق موكل .

المشهد الرابع

امرؤ القيس . يزيد . معاوية . الربيع . عاديا .
ثم السؤال . ودارم . والطلاح . وفرسان

الطلاح : (على حدة) (وهو داخل) مَن الغرباء: ولِمَ لا يحسرون عن الوجوه .

عاديا : (يبادر الى ابيه) يسرني قدومك أبتِ وقد استوحش الابلقُ ومن فيه لغياب سيده .

السموأل : وأنا لمَّا كنتُ أطوفُ البراري في طلب امرىء القيس (يرتش ا. ق. وبزيد) كان ذكرك يؤانسني ورجاء الاجتماع بك يسليني .

دارم : (على حدة) كانني لستُ ابنهُ .

السموأل : (وقد تفرَّسَ بالغرباء) من القوم يا بني .

عاديا : قومٌ قصدوا ربَّ الابلقِ لائذين بجواره فأدخلتُهم في ذمتك .

السموأل : نعمًا فعلت (للغرباء) رُحبت بكم الديار فاقيموا بها بالسعة والهنا. ما شئتم .

الربيع وقد انبتُ بني العباس مفاخرًا ... والى السموألِ زرتُهُ بالابلقِ
فأتيتُ أفضلَ من تمثَّلَ حاجةً ... ان جئتهُ في غارمٍ او مُرهقِ
عرفت لهُ الاقوامُ كلَّ فضيلةٍ ... وحوى المكارمَ سابقًا لم يُسبَقِ

الطماح : (على حدة) الربيع معهم . سمعت انه من احلاف الكندي .

السموأل : أر الربيع ايضاً من اضيافنا ؟ على الرحب يا ابن ضبع فلست بين آل السموأل غريباً وان اشمارك لتدوي في آذاننا فاهلًا بشاعر الابلق واهلًا بمن اهداهم الينا .

الربيع : الى الموارد الصافية يفد الظمآن فقد عودتوني فيض احسانكم فلا ارد عيركم ولا يسوغ لي غير ما . أنزالكم مشرباً .

السموأل : أدخلوا بنا فقد اضناكم السير . كما انهكني الجدُّ في إثر امرىء القيس. طاردته ولكنني راجع بخفيّ حنين . وهذا دأبي منذ أيام .

الطماح : (على حدة) ما للقوم ارتعشوا لذكر امرىء القيس . نفسي تحدثني انهم من أشياعه . . . ما لم يكونوا .

دارم : (وقد اراد السموأل واضيافه الدخول) مهلًا سيدي كيف يُجير أخي قوماً لا تعرفهم حين عاهدنا المنذر على مطاردة امرىء القيس والقبض عليه . فما أدراك من هؤلاء . أفما تخشى غدرهم .

الربيع : ليس الغدر الا من طبع اللئام يا كريم وليس فينا من هذه صفته .

السؤال: ومتى كنا نسأل شيخ الذل علينا ان ينتسب لنا يا دارم على عوائد اهل الحيرة حيث نشأت فاعلم ان باب الابلق لم يُغلق قط في وجه مستجير ايًّا كان .

دارم: جعلت فداك سيدي لا نكير ان الابلق مأوى الغريب وملجأ الضعيف . ولكنَّ الرأي حتى في الكرم من الحكمة .

عاديا : ابتر هؤلاء اول من أجرتُ أهلا نجيرهم .

السؤال: لا ريب في ذلك يا بني وان اخاك جاهلٌ بما نحن عليه .

دارم : ان لم يكن التحفظ من الاعداء من فضائلكم فلا حرج ولقد أعذر من أنذر .

الطماح: (على حدة) لا بد من كشف النقاب عن سرّهم (للسؤال) ايها الامير ايذن لي بالكلام .

السؤال: قل يا أبا فراس .

الطماح : هل أنت باقٍ على عهد المنذر ؟

س : ولِمَ تسأل . أوأتيت بما ينقضه .

ط : سيدي وعدت ابن ماء السماء بتسليم امرئ القيس بين يديَّ .

س : (بحدة) لا حاجة الى تذكيري ما لم ينسَّ لي بعد ان انساه . أفا كنت آنفاً في طلب بغية ملك الحيرة .

ط : ان كانت هذه بغيتك .

ا. ق (لا يتالك برقع النئام) كفاك يا طمّاح تعريضاً ودعاء (للسؤال) ايها الامير . كفاني تنكرًا . انا بغيتك . انا امرؤ القيس .

س. والكل : امرؤ القيس ؟

ا. ق: نعم ان ابن حُجر الكندي سيد اسدٍ امامك . ولقد لجأ اليك نعلمه بانَّ السؤال لا يخذل مستجيرًا وان عدوًا .

س : (يبقى مطرقًا)

دارم : ها ان الاقدار قد خدمت سعدنا (ط . وفرسان يقبلون لالقاء القبض على امرئ القيس) .

ط : الحمد للآلهة التي مكنتنا من عدوّ سيدنا المنذر .

عاديا : وراءك يا هذا أتتجاسر فترفع يدك على جاري ؟

دارم : جارك ومن انت يا غلام ؟

عاديا : انا ابن السموأل وجاري جاره حتى من ملك الحيرة .

دارم : (لابيه) سيدي لقد والله أتى عاديا شططاً فازجره واوقفه عند الحدّ .

س : دعه يا دارم فقد صدق جاره جاري . فلا يمسّنه احدٌ بأذى .

ط : هذا بغية المنذر وليس لاحد ان يجيره .

س : (بجلال) الا السموأل بن عاديا فاعرفه ان كنت جاهلاً .

ط : أبيت اللعن سيدي . اما وعدتَ بتسليم امرئ القيس .

س : وعدتُ بمظافرة ابن ماء السماء على مقلق راحة القبائل لا على جاري .

ا. ق : حسبنا ما فعلت يا أكرم العرب فانّا لا نريد ان نكون سبب الفتنة بينكم فها إنّا راحلون عنكم واذا خرجنا عن حماكم فليتنازلنا الطمّاح اذا شاء فان يد ابن حجر لا تزال ثقيلة على العبد العاتي . كنّا قصدناكم ولم نعلم إلا أنّا هجوناكم في ايام الصبا . فقلنا : ان السموأل اكرم من ان يخذل مستجيراً لهنات حمله عليها تزق الشباب . فلم نخلِ الظنّ اما الان وقد عرفنا ما يربطكم من الوثيق بابن ماء السماء . فالرحيل عنكم أصبح واجباً .

س : يا ابن حجر ان ابن عاديا اذا أسدى نعمة . واذا البس اسبغ فلا وحرمة الجار لسنا ممن يخالف سنن العرب ويترك نهج الحق ابتغاء مرضاة ملك فابق يا امرأ القيس ما شئت عندنا فمالي ورجالي وولدي فداك وهناك يدي شاهداً على صدقي (يصافحان) .

ا. ق : فقتَ الورى عزّاً وشهامةً فلا زال نجم سعدك في العلا . ساطعا وغيث نوالك على الاعراب هاطلاً أيّد الله عزّا هذه دعائمه ورفع بيتاً هذه أركانه .

منعتَ السليكَ من أكرِ ابنِ حجرٍ وكادَ الليثُ يودي بابنِ حجرِ
سأشكرك الذي دافعتَ عني وما بجزيلكَ عني غيرُ شكري

يزيد : غمرتنا يا ابن عاديا فلا اللسان قادرٌ على ايضاح شكرنا ولا القلب واسع لكل حبنا .

س : جزاني وقد نلته اجارة آل حجر .

ط : (على حدة) ستكون عاقبة الامر عليكم وبالًا يا ابن عاديا .

س : هيَّا بنا نرحب باضيافنا ونكرم مثواهم .

(يخرج الجميع ويبقى دارم فيمسك عاديا) .

دارم : لي معك كلام يا اخي .

المشهد الخامس

عاديا دارم

دارم : حتَّام تنازعني الاسر والنبي ؟ حتَّام أعثر بك كلما نزعت نفسي الى ما فيه مجدي ومجد بيتنا . حتَّام تحول دون رغائبي . وحقِّ ابينا لقد عيل صبري وما عاد لي طاقة باحتمال وقائعك .

عاديا : وقائعي ؟

دارم : لِمَ منعتني من الظفر ببغيتي وانت عالمٌ أنَّ بها مرضاة ابن ماء السما . ودواء نعمتي عنده .

عاديا : يشهد الله يا اخي أني ما رمت في ذلك الاجحاف بصاحبك فلو ظفرت بابن حجر في الصحراء لما كنت اتعرَّض لك بل كنت سررت بنجاح سعيك واعلاء كلمتك عند المنذر . اما الان وقد دخل في ذمارنا فيأبى شرف اجدادنا ان نستبيح حماه ونسلمه لاعدائه . والحمد لله الذي ألهم أبي صنيع ما صنع .

دارم : كان الاولى بك ان لا تجير غريبًا في غياب ابيك فان في تصرفك من قلة التدبير وسقم الرأي ما يجر على اهلنا وقومنا الويلات . ولكنك تحب الترفع وتتوق نفسك الى السيادة فانتهزت الفرصة لتُظهر للداني والقاصي انَّ لعاديا بن السموأل حق الاجارة وانه اهل للامارة بودك لو

قال الجميع : عاديا الكريم ودارم اللئيم . عاديا المنشبث بسنن اجداده ودارم المزري بها عاديا الوديع ودارم المتغطرس . أتراني لا افهم ما في صدرك .

عاديا : أعجب منك كيف تنبش بيننا اسباب العداوة وهذا دأبك منذ رجعت من بلاط ملك الحيرة فلا آتي امرًا الا طلبت فيه مغمزًا تأخذني به . ومن طلب عيباً وجده . ربيت انت في الحضر بين الامراء والملوك وانا في البدو بين الاعراب والرعاة . فعش كيفما شئت واتركني وشأني .

دارم : بل يسوءني صنيعك لانك تلعب بعقل ابي وتبعده عما فيه صلاحه . ومهما كان من امرك فيا مضى فمرادي الان ان تسعفني على اخراج امرئ القيس من حمانا حتى اذا علم المنذر بما كان رضي عنّا فنأمن شره .

عاديا : ان أخفر ذمتي وأهدر دم جاري . قاتلك الله أهذا ما تريد . هذا لن يكون ابدًا ما دام الابلق راسياً على جبله .

دارم : هذا شرط الاخاء بيننا والا ايقنت انك تحب الغريب المعادي اكثر من الشقيق الحميم .

عاديا : فديتك بروحي من كل مكروه . غير أني لن اضحي ابدًا شرفي وشرف اجدادي في سبيل ارضائك .

دارم : يا للغباوة .

عاديا : يا للشيامة .

دارم : أتؤثر الهلاك على نعمة ملك جبار .

عاديا : أتؤثر الشنار على مجدٍ مؤثل .

دارم : ارقَ على ظلعك يا فتى ولا تجاهر بالعداوة فلست كفوءي .

عاديا : ان حسبت تمسكي بسنن اجدادي عداوة فهذا لك . اما انا فأوفي ما لأخي لأخي وما للجار للجار .

دارم : حذار ايها الغرُّ الجاهل . حذار بوادر غضبي فان فار فائره او هاج هائجه فلا الرحم يسكّنه ولا صوت الاخوة يخفض علواءه .

عاديا : لقد رابني منك ما رأيت من حلمي فنسبته الى عجزي وحداثة سني

أو تظن اني اخشى بروق وعيدك او رعود تهديدك . بنيت في الصحراء ولكني ربيت على شريعة الله فلا اخاف سواه فاذا بدا لي امره بل لاح فلا التقريع يثنيني ولا الترهيب يوجفني ولا الموت يوقفني عن سماع صوتك. هذا منهج ابيك واجدادك وحسبي .

دارم : اذًا لا تسألني على ان تبعد امرأ القيس .

عاديا : سأبذل دونه مهجة فؤادي .

دارم : سوف ترى يا جاهل نتيجة غرورك .

عاديا : لا اشكو حالًا ما دام العدل مرشدي والشهامة رايتي ولئن تعارض جاري بأذية لتجدني امامك . ولئن ترشقه بسهامك لتلقين صدري تُرسًا يردُّ عنه حتى يتحطم (يخرج) .

المشهد السادس

دارم : شهامة شابٍّ غرّ لا يدري ما الدنيا وما فيها . . . سوف نطلعك على ما انت جاهله فلا تحسب انك مُوقفي عن ادراك مناي .

الفصل الاول

رواق في الحصن مُشرف على الصَّحراء

= ستة اشهر بعد حوادث المقدمة (الموسم الحولي والسباق) =

المشهد الاول

دارم ومولاهُ مسرور

اثناء المشهد الأول، وخاصة في اوله وقت الغناء، يمرّ امراء في آخر الموسم ذاهبين وراجعين شأن المتفرجين.

دارم: (يتثنى مهموماً. تُسمع جلبة الات الطرب والغناء.. ثم تبتعد الاصوات وتخمد). إطربوا وامرَحوا. غنوا وارقصوا. فانَّ رنّاتِ مثانيكم ضرباتٌ مؤلمة على اوتار قلبي. ونبراتِ أصواتكم زفراتٌ مفجعة في صدري: تناشدوا الاشعار. وفاخروا بالانساب. وأطلقوا الاعنّة لجياد القرائح في ميدان المدائح. فوالله إنّ صوت الناعي لأشهى اليَّ من ترنيم ابياتكم.

مسرور: مولاي مالي اراك اليومَ يومَ الفرح في اضطرابٍ لم أعهدهُ فيك أوَ يُغيثك تبادُر أمراء العرب وعظمائهم الى قصركم في الموسم الحوليّ يُحيُّونكم ويقرون لكم بالسيادة على من سواكم.

دارم: مالي؟ مالي؟ ألم تحزر يا مسرور؟ ألم تفهم ألم تقرأ على صفحاتِ وجهي ما يكنُّه صدري وأبى لقد أوهتِ الليالي نورَ بصيرتك فما عدتَ تدرك أسراري وتقفُ بالتفرّس على نوامض افكاري.

مسرور: إن غاضَ نورُ التبصّرِ في عيني يا مولاي. فانَّ نارَ الحبِّ لم تزل متقدةً في قلبي ولم تُخمد حرارتها تلك الثلوج التي كوَّرتها الايام على هامتي فاكشف لي عمَّا يُؤلمك عساني أُفرّج عنك بعض ما تجد.

دارم: مسرور كلُّ ما أراه واسمعهُ هُنا منذُ رُجوعي من الحيرة يُغيظني.

مسرور: عجباً يا مولاي أما ترى قومنا كلَّهم يتسابقون الى اكرامكَ؟ تتشاكلُ أبصارُهم وفي صدورهم تخفقُ القلوب فخراً وإعجاباً بابن سيدهم فانهم

يرون على محياك ملامح الجسارة و شهامة وفي معاملك مظاهر الحكمة والدراية فيعولون أكرم به حلفاً لمولانا السموأل .

دارم : خان الحبُّ بصرك لا ليسَ الامرُ كما توهمت يا مسرور . انا ايضاً لما رجعتُ من عند المُنذر بعد اعوام طوال قضيتُها في خدمته أتعلمُ ما يجبُ على الامير العاقل معرفتهُ حسبتُ أنَّ السيادة تنقادُ اليَّ طوعاً . كنتُ أعلل النفسَ بالرئاسة فاذا فتى غرٌّ متربعٌ في دَستِ الامارة وابوهُ بعدُ في قيد الحياة يأمرُ وينهي ويعقدُ ويحلُّ والي طوعُ إرادته . اليهِ تُهدى العطايا وتُوفَّ الهدايا لهُ الحبُّ والاكرام . لهُ التقدمُ في كلِّ نادٍ كأنَّ دارماً لم يكن كأنَّ دارماً لم يتعب سنينَ رغبةً في صوالحهم ولقد صبرتُ حتى اليوم واما الآن فقد طفح الآناء وبلغَ السيلُ الزبى (يغني عاقلٌ) لا طاقة لي بالاحتمال وان لم تنقلب الحال . . .

مسرور : هدّى. الروع يا مولاي فما عهدتُ قطّ من عاديا استعلاء على ذويهِ ولا تنسَّمتُ من اعمالهِ استخفافاً بأخيه.

دارم : ويحك يا مسرور أتقولُ إنَّ عاديا لا يستخفني ؟ فقد وحياتي وقعتَ انتَ ايضاً في شركِ مداهنته أنسيتَ معارضتهُ لي في أمر الكندي وتعضيَهُ لعدوّ المُنذر وعدوّي . قُل لي لمَ منعني من القبض على امرىء القيس ؟ بل لمَ أجارهُ على الرغم مني ؟ لمَ جاهرَ على رؤوس الملا بحبهِ لهذا الامير الخليل حتى حملَ أبي على امدادهِ برَجلنا وخيلنا وايصالهِ الى القيصر أليسَ لانهُ يُريدُ إسقاطَ كلمتي عند المنذر فأصبحَ عاجزاً عن منازعته الامارة ولكني والله لأُرجعنَّ كيدهُ في نحره واعلمُهُ انَّ من تصدّى لدارم رجعَ بصفقة خاسر .

مسرور : ماذا تنوي يا مولاي .

دارم : ستُبدي لكَ الايامُ ما أنتَ جاهلٌ . اني بانتظار الطماح وقد وعدني بالتلاقي هنا في هذا الرواق وقد أوشكَ أن يَفِدَ علينا مع الاضياف .

مسرور : سيدي لا تزدْل نصيحة عبدٍ امين حذارِ من خداعِ هذا المكار . انَّ الافاعي وان لانت ملامسُها عند التقلبِ في انيابها العطبُ .

دارم : اطمئنّ بالًا فانّ الدهاء لا يُنسيني ما يقتضيه الشرف . ها هو قادم . فاتركنا وحدنا ..

مسرور : (وهو خارج) حفظك الله من مكائد الاشرار

المشهد الثاني

دارم . الطبّاح

الطباح : عم صباحاً ايها الامير .

دارم : اهلًا بك يا كريم كنتُ أتوقّعُ قدومكَ بفروغ صبر .

الطباح : أراكَ مهموماً هلّا تُشاطر أهلكَ الفرح .

دارم : كأنك جاهل دواعي غمومي .

الطباح : (بغبث) وما هي .

دارم : (بتلهف) جعلت مساعيَّ . وذهبت اتعابي ادراج الرياح . فقد أفلتت الطويدةُ من أيدينا . وما أدراك من اطلق سراحها ؟ نحن نحن اطلقناها .

الطباح : أفلتتْ منا امرؤُ القيس ؟

دارم : نعم وهو الان عند القيصر . بل لعلّهُ راجع تكاتفهُ الكتائبُ الرومية وتؤازرهُ الفوارس الحيريّة ليوقع في من عاداه وناواه . ولسوفَ ينقادُ اليهِ الاعرابُ صاغرين ونحنُ واقفون نحرّقُ عليهِ الأنامل عاجزين ... فاذا عادَ مظفّرًا فقُل معي على الابلق السلام فانَّ ابنَ حجر لا ينسى ما قابلناهُ بهِ من الاساءة والجفاء ... إنَّ موقفي لحرجٌ يا طبّاح فقد ورّطني تعصّبي لابن ماء السمآء واستعصامي بحبله في هوةٍ ليس منها نجاة .

الطباح : (بخبث) لا بأسَ عليكَ أنتَ فإنَّ عاديا لأميرٌ كريم يصفحُ عن الاساءة ولا يُحقد على من أهانهُ لا سيما اذا تصاغر وتذلّل فأرضهِ تعش بالهناء في كنفهِ يرعاكَ طرفهُ الغضيض ويلحقك من فيّاض نعمهِ ما يكفيك .

دارم : أوَ أرضى انا بالتذلل لأخي وانا أحقُّ بالامرِ منهُ ؟ لا أُطيقُ المساراةَ بهِ فكيف الخضوع لهُ .

الطباح : إظعَن عن البلاد واذهب الى المُنذر وعش في خدمتهِ .

دارم : وبأيّ وجه اقابله بعد ما ركن الي واعتمد على مساعدتي له لقد كانت وحدك مواعيدك كالبرق الخلب لا أتوقع منك خيراً بعد هذا الفشل .

الطماح : ما الرأي اذا (سكوت) .

دارم : عبثاً نزحتُ عن الاوطان وعشتُ في الغربة اعواماً ! عبثاً طأطأتُ الرأس وأنا ابن الملوك لأنال الحظوة عند ابن ماء السماء . عبثاً بذلت الجد والاجتهاد في اكتساب المعارف عبثاً عللتُ النفس بترقية قومي الى أوج العلاء . فقد طارت اماني كما طارَ عصفورٌ عن غصن حطّ عليه ساعة ثم رام واضمحلت اماني كما اضمحلت الاحلام اذ أشرقت الغزالة . سكرةُ ايام الصبا فقتُ منها ولكن القلب من فقد جلاوتها صريع جريح .

الطماح : ياما أحيلى العيش في الاباق وعاديا يأمر فيه وينهي ياما احيلى العبودة في ظل امرئ القيس واصحابه الروم .

دارم : كذلك تهكماً يا طماح أأتيتَ تقرصني باواسع لسانك ام تواسيني في محنتي .

طماح : (على حدة) بلغ السيل الزبى وحان القطاف (الى دارم) وأنت ايها الامير كفاك ندماً وتحسراً فان التلهف يرثك الحذور اجدر واما الرجال فمثل دأبهم واقتحام الاخطار لبلوغ المنى ديدنهم ومناطحة الاقدار شيمتهم فانهض ولا تدع اليأس يستولي عليك فالنجاح بالسعي الدائم مقرون والفوز حليف الاريب الجسور . أوَ تظن أني لم اقف على اعمال امرئ القيس من يوم دخلَ قصرك . فواللات لم تفتني حركة من حركاته . ولا سكنة من سكناته . ولم يخفَ عليّ اجتهادهُ بالقيصر وميل الروم اليه . ولكني لا أعبأ بجحافل الروم وكثرتها ولو تكاثفت كالجراد ولو طغت كمياه الفرات .

دارم : لا أفهم المقال .

الطماح : أعرني سمعك هنيهةً وعتك الآلهة ألم يستودعكم امرؤ القيس معاوية وأدرعَهُ المشهورة .

دارم : لقد صدقتك الانبا. فابن الكندي وادرعه بين ايدينا .

عمرو : ما هو ذا حصنت الوديعة في ايدي سدنة ... فكيف تكون دريئة تدفع عنا هجمات امرئ القيس وكتائبه ؟ وبمَ توقف الكندي في سيره ؟ ان الذلة والذرة لن يستطيع حراكاً ما دام ابنه ووحيده في ايدينا .

دارم : قاتلك الله ما ادهاك ولكن الوديعة امنع من عقاب الجو وراء هذه الاسوار الشاهقة فمن يأتيك بها .

الطماح . نطلبها من السموأل فنأخذه اولاً من باب الوعد ونقول له : ان في مؤاخاة المنذر مرافق لا تحصى . وان لهُ في اقارب امرئ القيس أنفسهم لأسوةً . فقد كانوا أجاروهُ ثم خذلوهُ . وان لم تَرُق في عينهِ بوارقُ الامال . قرعنا باب الوعيد فان المنذر جهز عسكرًا جرارًا . تركتهُ بالبطاحاء على مسافة مرحلة من الابلق . وهو مستعدٌّ للايقاع بالسموأل اذا أصرَّ على رأيهِ . فقد حلف ليَعْقِبَنَّ آثارَ الابلق . او يَظفر بابنِ الكنديّ وأدرعتهِ . والمُنذر اذا أوعدَ فعل .

دارم : هيهات ان يعمل في قلب ابي وعد او وعيد فليس بسالم امانتهُ والابلقُ على جبلنا راسٍ . . . فقد أجارَ الكنديُّ عدوًا فكيف يخذلهُ جارًا وصديقًا .

الطماح : ان لم تَغلب فاخلب : هذا قولُ المثل وانَّ في الامثالِ لحكمةً فان أعجزنا ادراك الوديعة عنوًا أو عنوةً أخذناها حيلةً فلو رأى الامير دارم ان يدفعها الينا .

دارم : (بحدة) أنا ؟ لقد أسأت الظن في دارم يا طمّاح . وان لم يكن في جعبتك من الحيل سواها فعليك السلام فما أنا من رجالك .

الطماح : (على حدة) لعنت الآلهة هذا الاصل ما أشرفهُ (بتذلل) حاشايَ ان احمل الامير على الغدر وانما سألتهُ ان يساعدنا على بلوغ غايتنا من تحقيق امالهِ وتمكينه من الامارة بعد السموأل أبيهِ وماء وجههِ مصون ورواء عرضهِ مضمون فحسبنا ألّا تعارضنا اذا مددنا أيدينا الى الوديعة .

دارم : هذا لكم فاني لستُ بحفظها موكّلًا .

الطلاح : كفى واللات والعزّى لقد فزنا عما قليل يقام السباق الحولي فاذا دعاك ابوك فامتنع انت وكل رجالك واترك عاديا يتزل وحده في الميدان .

دارم : ولمَ .

الطلاح : تعالَ على انفراد اطلعك على ما ارتأيتُ . فانّ في كتمان السرّ ما استطعنا شرط النجاح وفي هذا المكان لا تأمن الآذان فاني أرى الاضياف يتقاطرون اليه من كل جانب . (يسمع صوت الآلات كأن بابا فُتح ثم اغلق فيقول على حدة) لأجعلنّ فرحكم مناحة او تُذعنوا لامري .

(يخرج هو ودارم من جهة — ويدخل يزيد ومن معهُ من الجهة المقابلة)

المشهد الثالث

يزيد . والربيع . وفاتك (رسول)

يزيد : (على حدة) الطلاح هنا ايّ دسيسة التي يدبّرها لا بد من مراقبته (يلتفت الى الرسول) أحقًا تقول أن يكون امير كندة على بضع مراحل من الابلق على معسكر جرار .

فاتك : نعم مولاي وهو الذي أرسلني فطويتُ الفيافي ووالياتُ بين السير والسرى لاحمل اليكم البشرى .

الربيع : ومعهُ من العساكر خلقٌ كثير .

فاتك : عدد لا يحصى ولا عجب لان يوستينيانوس على ما عرفت أظهر لهُ من الاكرام والحفاوة ما لا نهاية وراءهُ . فلبّى مطالبهُ واقرّهُ ملكاً على كندة وفلسطين وامدّهُ بكتائبه ليذلل المصاعب ويُرغم انف كل معاند .

الربيع : أبشر يا أبا زهير بزوال الضيق واقبال الفرج فلسوف يرجع ابن عمك المياه الى مجاريها فاذا بدت اعلامهُ أقبلت اليه كل الاعراب وما تخلف عنهُ احد حتى من كان اشدّهم لملك الحيرة تعصباً فاندبوا انفسكم يا بني أسد فلسوف تسمعون زئير الليث وقد خلتموهُ فريسةً باردة لانيابكم .

يزيد : أخاف يا ربيع من دارم فانهُ من اشدّ اخصامنا .

الربيع : (يتظاهر بالوداد)

يزيد : ... لكن ... في ... من الخمرات ... وعلى اخيه الله ... حريم غير ... شيطان خسد والطمع ساطر عليه والطرح ... دونا واقف له بالمرصاد يستعين به عليه .

ربيع : هيهات ان يقوى سليم . هل اصطاد البعوضُ النسر يوماً او اصطادت كلاب الحي ضرغاماً ولا داعي للقلق والاضطراب . فطب نفساً وشارك ضيفك بافراح موسم الحولي وتأهب للسباق فقد حانت ساعتهُ .

يزيد : (للرسول) اكتم الخبر خوفاً من مفاجأة مكروه وانا أعلم معاوية (يخرج الرسول) .

المشهد الرابع

يزيد والربيع من جهة . ومن جهة اخرى بدخن عادية ومعاوية يأتمه

معاوية : بالله عليك يا عاديا لا تسابق .

عاديا : ويحك يا معاويةُ ما لك ؟ ما هذا الخوف الذي اعتراك (يرى الربيع ويزيد) هذا عمك والربيع فلمَ نتقاضى امامهما (ليزيد والربيع) أما تعجبان لامره فانهُ من ساعة يمانعني عن النزول الى ساحة الميدان ولما سألتهُ لمَ يبغي اعتزالي عنه لم يُجب ... فبحقي عليكما قولا . أيليقُ بي ان انتحى عن المضمار وهذه اول مرة يحلُّ بي ان انازل الفرسان فلو طاوعتهُ لحقت بي وصمةُ العار وقالَ الفرسان وقد طالما توقعوا بروزي . انَّ عاديا لجبان. أوَ ترضيان لي بالخزي والشنار .

يزيد : ولِمَ يا معاوية يعمك اشتراك عاديا بالسباق .

معاوية : نفسي تحدثني بان ليس وراءهُ خير .

عاديا : أوَ عنَّ لك غرابٌ بارح فتشاءمت .

معاوية : لست ممن يعتقد صحة هذه الخرافات . غير اني اسمع في اعماق القلب صوتاً ينذرني بوقوع المكروه .

يزيد : بخٍ بخٍ يا معاوية . أنبيٌّ أنت حتى يأتيك الله بعلم الغيب .

معاوية : لست نبياً ولكن ؟

الربيع : ولكن ماذا ؟

معاوية : (بتردد) أخافُ ان اكدر صفاءَ نهارك والغص هنا. شرابك ولمّي إن بحتُ بما بي أحزنتك بما لا طائل تحته .

عاديا : لا لا بحقي عليك الّا قلت .

معاوية : منذ برهة وجيزة كنتُ منزوًا بالقرب من هذا الرواق فسمعتُ همس أصوات فخفقتْ وطء أقدامي وتطلعت فاذا اخوك دارم مع الطماح يتحادثان فخفقَ قلبي جزعاً لاني لا اطيق الاجتماع بعدوك فهممتُ بالهرب إلّا اني وطنت النفس وثبتُ الجأش عساني اطلع على ما يهمنا معرفته وجعلتُ أنصتُ لأعي حديثهما فلم ألتقط منه الّا شذرات لم افهمها الّا انها هاتفتي فسمعتُها يذكران عاديا وامرئ القيس والمنذر والسباق وهما مغضبان فخفتُ عليك يا اخي .

عاديا : أهذا الذي أقلقَ راحتك .

معاوية : أي وأبي فمن وقتها زال فرحي فاتعبت النفس لانفي الكرب عني فلم أنجح .

يزيد : أوهامٌ يا بني فلا تستسلم لهذه الهواجس واياك خاصةً ان تُظهر لدارم انك على ريبة من أمره (على حدة) ليس الامر كما أجاهر به فاني لا آمن مكائد الطماح عدوّنا .

عاديا : أوَ ترتاب بأخي يا معاوية . سامحكَ الله . فانْ دارماً وان كان مغضوبا إلّا انه كريمٌ شريف النفس . واما الطماح فهو عاجزٌ عن مسّي بأذى.

معاوية : صدقت وهذا ما كنتُ لأجسرُ على الكلام لولا الحاحك عليّ بالسؤال.

عاديا : فاذا لم يكن لحزنكَ سببٌ غير ما ذكرت فقد اطمأنت نفسي وطابت فيّا الى الميدان ودونك القوم اقتربوا لإعلام السباق .

المشهد الخامس

يدخل السموأل مع دارم . والفرسان والطماح

السموأل : قد جرت العادة ايها الاسياد منذُ بني الاباق ان تقام بالقرب منا سوق حولية يتقاطر اليها اهل الحضر والوبر يبيعون ويشترون . ثم يجري

[illegible] أمر الفرسان ... الخيول ... ويتدرب في ساحة ... من ... كريم جيادهم ومتنافسين بجودة مروضيهم فيزداد ... نفسه وعيده بهجة ورونقا . وكان قد حان وقت السباق فمن منكم ايها الفرسان أراد النزول في المضمار فليبرز وليعلم باسمه واسم جواده على مشهد منا ومسمع .

الفارس الاول : أنا أبو اياس بن قبيصة غنتني ملوك الحيرة ولي في الحروب مواقع شهيرة . لأمت بين قومي الغوث وجديلة . وأزلت الشرّ من العشيرة . وفرسي جناح .

داني الادم كأن البرق غرّته   رحبُ اللبان أشمّ الانفِ والقصبِ
كأسٍ من الليلِ بالظلماء ملتحفٌ   لكنّه زانهُ التحجيلُ بالحببِ
يكادُ يسبقُ لحظَ العين كيف جرى   إذا يدانيه مرُّ الريح بالخببِ

السموأل : أكرم بك فارساً حسيباً . وأكرم به جواداً اصيلاً .

الفارس الثاني : أنا ابو نصر البراق بن روحان .

أنا ابنُ السمرِ من سعفي نزارٍ   كريمُ العرضِ معروفُ النجارِ

وفرسي الكميت :

كميتٌ كلون الارجوانِ نشرتهُ   لبيعِ ازداءٍ في الصوان المكعّبِ
له حرّتانِ تعرفُ العتقَ فيهما   كسامعتي مذعورةٍ وسطَ ربربِ
اخو ثقةٍ لا يلعنُ الحيُّ شخصَهُ   صبورٌ على العلّاتِ غيرُ مسبّبِ

السموأل : ما تركتَ لسيدٍ فخرًا يا أشرفَ نزار .

الفارس الثالث : أنا أبو بجير الحارث عبّادُ بن قيس ابي وثعلبة عشيرتي قد اشتهرتُ مراهقًا في حربِ سدوس ووليتُ شابًا على بني ضبيعة قبل حرب البسوس ـ شهدتُ يوم خزاز . وأبليتُ فيه أحسنَ بلاء . وفرسي النعامة :

تجري فتكبو الريحُ في غاياتها   حسرى تلوذ بجراسيم الـ[illegible]
لو اعتسفتُ الارضَ فوقَ متونها   نجومُها ما خفتُ ان تشكو الجوى
ترضخُ بالبيد الحصى فان رقت   الى الربى أورت بها نارَ الحبا

السموأل : ويلُ الذي يسابقُ النعامة يا سيد ثعلبة . فكيف يرجى ان يكون

مجليا . غيرَ ان الحكمة ميدانٌ لا يجاريك فيه فارس . وانتَ القائل :

كلُّ شيء مصيرهُ ـ ـ ـ ـ ـ ـ غير ربي وصالح الاعمال

عاديا : (وقد انتظر دقيقة بعز) أوَ أنتسب .

السموأل : هذه العادة يا بنيَّ .

عاديا : أنا ابنُ السموأل وحسبي .

الكل : ونعمَ النسب .

معاوية : إن أوجزَ عاديا فعليَّ أنا أن أطنب إن اذنَ الامير .

السموأل : هذا لك يا ابن امير الشعراء :

معاوية : وإنَّ بني الدنيانِ قطبٌ لقومهم تدورُ رحاهم حولهم وتجولُ
اذا سيدٌ منكم خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ
وما أخمدت نارٌ لكم دون طارقٍ ولا ذمكم في النازلين تزيلُ
وايامكم مشهورةٌ في عدوكم لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ

السموأل : لا فُضَّ فوكَ يا ابن اناوك الاعاظم . فانَّ شعركَ مثل غنائك رقَّة وعذوبة .

عاديا : وفرسي ذو العقال :

لهُ ايطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وارخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفلِ
على الذيلِ جيَّاشٌ كأنَّ اهتزازه اذا جاشَ فيه حميهُ غلي مرجلِ
مكرٌّ مفرٌّ مُقبلٌ مدبرٌ معاً كجلمودِ صخرٍ حطهُ السيلُ من علِ

السموأل : هذا فرسُ امرئ القيس .

يزيد : ومن احق به من هذا الجواد ابن الاجاويد سادة تيما .

السموأل : (لدارم) وانتَ يا بني ألا تُسابق ؟

دارم : لا تطيبُ نفسي بذلك .

الطماح : ألمَّ يشكوهُ فاعذرهُ مولاي .

السموأل : قد كان بودّي لو رأيتُ ولديَّ في الميدان يتسابقان كفرسي رهان (يلتفت الى الفرسان) أما بقي أحدٌ يريدُ النزال (سكوت) وانت يا أبا فراس ألا تُنازل .

الطماح : لو لم يخطَّ المشيبُ رأسي لما تركتُ أحدًا يسبقني الى المضمار ولكنَّ

يزيد : اسي حدقا ميدان الدسس و مكر .

السوأل : نعانُ على وجوه الملا نا جعلنا الحكم يزيد بن معاوية والمدى خمسين غلوةً من كعب الجبل الى ذات الإصاد حيث بركة ما . والسابقُ أولُ الخيل يكبرُ فيها . أرضيتم بالشروط .

السابقون : (يدون الايدي) رضينا .

السوأل : (للباقين) أأنتم عليهم شهود .

الكل : شهدنا .

السوأل : فهيا بنا الى الميدان .

عاديا : (يذهب ويقبّل يدي ابيه)

السوأل : سر على بركة الله يا بُني . وليكن الفوزُ حليفك .

عاديا : (لمعاوية) أدعُ لي بالتوفيق .

معاوية : وقاك الله من شرك النام (يخرج الكل)

الشهد السادس

يبقى السوأل والطاح

الطاح : ايها الامير إيذن لي بالكلام .

السوأل : الآن وقد حان السباق .

الطاح : لا بد منهُ فان غيرتي على صوالحكم لا تسمحُ لي بالانتظار اذ الخطبُ جسيم وتلافي ما أتوقعهُ من الشر فرضٌ واجب على كل عاقل بصير .

السوأل : قل ما بدا لك .

الطاح : ان ابن ماء السما ارسلني اليك بهدية جليلة .

السوأل : أأنيتَ تحادثني بأمر الكندي .

ط : نعم .

س : لقد خلنا المسألة تمت او كادت .

ط : غرّكم ايها الامير اصطبار المنذر فنسبتموهُ الى النسيان او التهاون . لا واللات لم يكن ليتغافلَ عنكم . لما علمَ انكم أجرتمُ الكندي أبرقَ وأرعد واخذ يتوعدكم ولو لم الطف الامر وأخفف الجرم لكان أتبعَ الفعلَ الوعيد وناجزكم حرباً تبيدكم عن آخركم فلما انطفأت جمرةُ غضبه قال لي عفوتُ عن ابن عاديا وتناسيتُ صنيعَهُ مع عدوي وسأرجعُ اليه مودّتي على شريطة يُسلمني ابن اخي القيس يكونُ عندي رهناً ويدفعُ الي ادرعَهُ المشهورة أستعينُ بها على أعدائي والا فليعلم ان ملك الحيرة .

س : (لا ينالك غضبٌ) أهذا أتيتَ يا طماح ؟ (يسمع صوت الطبول) .

ط : اصطف الفرسان في الحلبة الاولى .

س : كان الاجدرُ بك ان لا تفاتحني بهذا الحديث . وبالكَ أعلى السموألِ تعرضُ الخيانة ؟ أإياهُ تُغري بالمواعيد حتى يخفرَ ذمتَهُ ويسلمَ جارَهُ أبعد ما لاح بمفرقي المشيب وذوى غصنُ الحياة النضير أرغبُ في الخنا ؟ لا والله ولأن أتدثّر الثرى وألبس النقر حلةً أحبُّ اليَّ من تدنيس عرضي فانهُ.

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكلُّ رداء يرتديه جميلُ

فأمسك ولا تراجعني في المسألة .

ط : (يسمع صوت الطبول) يستعد الفرسان — ايها الامير أتيتُك ناصحاً فان لم تقتنع . . .

س : أوَ تهديداً .

ط : لا تقرّ ايها الامير فلا حصنٌ ينجيك من غضب المنذر ولا يدٌ تنتشلك من العطب اذا عثرت (يدق الطبول ثلث مرة) وكفوا — يا ابن عاديا هلا تسلم الوديعة .

س : وراءك يا لئيم فوالله لولا حرمةُ الضيف لقتلتُ بك وصنعت .

ط : (يبتعد حينًا فحينًا الى الباب) يا مغرور نجّ ولدك عاديا . فهو في قبضتي (ثم يختفي) .

س : غدرٌ ! ثكلتك امك يا للطماح . . . (يكوت) ويلي كلُّ رجالنا في خارج الحصن . . . يا دارم (يسقط على المقعد) ربي . . نجّ ولدي .

الفصل الثاني

في الخصن في بيت السلاح

المشهد الاول

شجاع مسرور سلمان فاتك . نصيب (جنود يحملون السلاح)
(يدخل سلمان وفاتك يلمعان بالسيف والترس)

شجاع : عافاك الله يا سلمان ان لك ضرباً يقد الصخر قدّا .

سلمان : (وقد انتهى من اللعب) حذار يا ذئاب الطباع بطش هؤلا. الاسود . (يقترب الكل) .

مسرور : لقد طال انتظارُنا الفرسان فهذا اليوم الثالث منذُ أنفد السؤال السريّة في طلب الطباع واستنام اخبار عاديا وحتى الآن لم يبلغنا عن احوالها شيء . وان في ذلك لعجباً لان يزيد ابن عم الكندي فارس مغوار له الباع الطولى في الحروب والغزوات .

فاتك : ان ابطاءهم تذير الشؤم .

شجاع : وَانكلَ أماه كيف انقلبت الافراح اتراحاً والعزُّ والدلالُ ذلّا واذلالا . كان سيدُنا عاديا يخطرُ بيننا يوم السباق والوجه مُشرقٌ والثغر باسمٌ . واللسان بالثنا. على الكبير والصغير ناطق فما جال جولة خارج الحصن الّا وهو أسيرٌ عانٍ . ولعلهُ واسفاه ذبيحٌ عاجل .

نصيب : تعساً لنا كيف اختطفَ الذئب مولانا من بين ايدينا ونحن عن منعهِ عاجزون . فوحق السؤال يا شجاع لقد كان عجزنا اشد نكايةً لنا من اختطاف عاديا .

شجاع : كنت انا أشهد السباق في عددٍ ليس بيسير من الرجال الّا انهم كلهم اعزال . فرأيتُ عاديا على جوادهِ ذي العقال . فللهِ درهُ ما كان أفرسهُ لما أُرسلت الخيل وأخذت تنهبُ الارضَ نهباً تظاهرَ عاديا بالتقصير حتى رثى لحالهِ الحضور غير انهُ ما عتم ان صاحَ بفرسهِ فطارَ حتى خلنا

ان له جناحاً فضجَّ الجميعُ إعجاباً . وإنَّا لكذلك اذ أغارَ فارسٌ لم يكن في بادى الامر فتثبتْنا فاذا هو الطلاح فلما بدا لاقتهُ على بعدٍ منا كوكبةٌ من الفرسان ففصلوا عاديا ووارَوْهُ وقفلوا راجعين ونحنُ واقفون كأن على رؤوسنا الطير لا نُبدي حراكاً فما أفقنا من حيرتنا حتى غاب عاديا وخاطفوه وترغلوا في الصحراء فوحق مولانا بكيتُ غضباً وما عهدي بقلبي خوَّاراً ضعيفاً .

نصيب : تمنعنا أسوارنا من حد النصال ولا تدفع عنا مكائد الاشرار .

شجاع : ومن ذاك اليوم المشؤوم لم يَذُقِ السوال طعمَ الراحة ففي النهار يطلب الاعتزال وعند المساء يرقى الى الرواق الاعلى فيُحيي الليل كلهُ في السهر غائصاً في لجج الهموم فكأنهُ في العسالم وليس من اهليه وفي الحصن وليسَ من ساكنيه وقد حاولتُ مراراً ان أخفف عنهُ ثقل همومه وحرقة غمومه فابى ان يتعزى .

سلمان : وليسَ مولانا وحدهُ حزيناً فان الغم شامل . وكأنهُ أرخى سدول ظلماته على القصر حتى خلت ان بهِ مأتَمَ وحيدِ لابيه .

فاتك : ما أصبتَ يا سلمان لم يشمل الاسى كل الافئدة .

مسرور : (متأثراً) ما عنيتَ يا هذا .

فاتك : أقولُ ما أقول ان تكن نارُ الجوى كل الافئدة فقد إخالُها اغفلت قلبَ من بالتحسُّر والتلهف اجدر منَّا .

مسرور : ومن هوذا .

فاتك : هو هو دارم .

مسرور : شلت يمينك والله ان عُدتَ فشنَّعتَ على مولاي لأضربنك ضربةً تتذكرها العمرَ كلهُ .

سلمان : دَعهُ يا مسرور فانه ... (يرى دارماً مقبلاً) صه هذا سيدنا دارم .

المشهد الثاني

يدخل دارم يقب الكل

دارم : هل الرحال أخذوا أهبتهم للقتال فان الحرب دارت رحاها واخاف ان يكون الابلق لُهاها فاسرعوا حتى اذا ما حانت الساعة كان كل واحد منكم رهن الاشارة .

مسرور : كلنا مولاي طوع اوامرك .

دارم : لا تهابوا يا ابطال جحافل العدو وكثرة عدده .

يغرُنا أنا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لهُ ان الكرامَ قليلُ

فاتك : دُمنا في سبيل مَولانا عادياً حلال .

نصيب : والهنا علينا حرام ما دام عادياً اسيرُ اللئام .

دارم : ارجعوا الى العملَ دَ يتركهم في مؤخر المرسح ويأتي الى الامام) عادياً عادياً . آه آه لا ينفكُ ذكرهُ في صدورهم واسمهُ على شفاههم . لقد وأبي سحرَ عقولهم وسبى قلوبهم فقد بالغتُ منذُ ثلاثة ايام في مداراتهم ومصانعتهم علهم ينسون اخي ويأنسونَ بي فاخفقَ سعيي . لعمري لم يعصِ احدُهم لي امرًا غير اني لم اجد الى قلب احدٍ منهُم مدخلًا .. صبرًا يا دارم فلسوفَ يقلبون ظهرَ المجن اذا ما آلَ الامرُ اليك .. ولقد أوشك أن يؤول . ألستَ السيد المطاع منذ ثلاثة ايام هل لك في الحصن عدلٌ فالرجال طوع بنانك وأبوك لا يورد ولا يُصدِر الا عن رأيك والمنذر حليفك وولي نعمتك واخوكَ اذا رجع بعد تسليم الوديعة وانكسار امرى. القيس لا يكون الا كأحد مواليك فاهنأ ... ومع ذلك لا أجد ابي كما أحب فلا أراهُ يبشُّ لي ولا يرتاحُ الي ولا يتعزى بحضوري . أوَ يرتاب بي لا لكنهُ من فراق عزيزهِ حزين ولا عجب فان الخطب جسيم والجرح حديث أليم سيندملُ اذا رجع عادياً ولا اخالهُ الا راجعاً لان ابي لا يعارضني بعد هذه الضربة المزلة (يدخل معاوية ثم يولي عندما يرى دارماً)

المشهد الثالث

دارم ومعاوية . والفرسان في آخر المرسح

معاوية : (وهو داخل) دارمٌ هنا آه لا أحبُ الالتقاء بهذا الرجل .

دارم : لِمَ تبتعد يا غلام أوَ يهولكَ دارم ؟

معاوية : عذرًا ايها الامير . ظننتُ عمي يزيد رجعَ من غزوته فأتيتهُ مستخبرًا عن عاديا .

دارم : أراكَ مهمومًا جدًا لما حل بأخي .

معاوية : ليس همي اقلَ من همكَ ايها الامير . فان يربطكَ واياه الرحم فقد أوثقت بيني وبينهُ عرى الاخاء . آه ليتني افديهِ بدمي .

دارم : أوَ صدقًا تقول .

معاوية : اي وحق الأمير ولو بذلتُ دونهُ الف روح لما كان هذا الا نزرًا قليلًا في جانب ما بذلهُ في سبيلنا . كنتُ طريدًا فآواني . مظلومًا فأجارني . وقمتُ في وهاد الذل فانتشلني وعزز مقامي أفيجوز ان انساه . لا يا اخي لستُ ناسيًا ما طوقتني من المنن مدى اختلاف العصران وتعاقب الجديدان .

دارم : (على حدة) أكرم بهِ غلامًا رقيق العاطفة وفيًا أوَ تأخذني عليه الشفقة ؟ لا تُقدم رجلًا وتؤخر اخرى يا دارم والا سقطت الدهر . وعلى كل فقد لاتَ حين ندامة (لمعاوية) يُعجبني منك الصدقُ والوفاء . فابقَ على العهود ما عشت (ويخرج) .

معاوية : يحنُّ على اخيهِ وكنتُ أظنهُ مبغضًا اياه . ولكن معصية عاديا اخذت بمجامع قلبه ولو كان صخرًا جلمودًا لأذابتهُ ... كانَ يحسُنُ بي أن أسألهُ عن سبب اختطاف عاديا لكان أطلعني على مكائد الطامح آه أشعرُ بقلبي يتقطرُ غمًا لجبلي بما يدسهُ اعداؤنا .

المشهد الرابع

الاشخاص عينهم . يدخل يزيد والربيع وفرسان

معاوية : عمي يزيد (يجمجم عليه) اخي عاديا قل لي أرأيته . وهل يأتي عما قريب ؟

يزيد : انشاء الله .

شجاع : سيدي أرى اليأس على وجهك الكريم .

يزيد : أخفقت مساعينا فمنذ تركناكم سرنا الليل والنهار وطئنا في الصحراء نتقصّى أرجاءها ونستكشف أردافها واعجازها نتقف على اثر الحُطفة اللئام . فما عنَّ لنا حي . ولا رأينا لهم على الثرى اثرًا . فقد عفت الرياح حتى مواطئ الاقدام . . . آه ليتنا لاقينا العدو بجحافله الجرارة . اذن لكنا هجمنا عليه مع قلة عديدنا ومُتنا ضحية بجيرتنا الكريم .

معاوية : يا ربّ ارفق بنا . . اما قلت لكم يا عماه ليس وراء ذاك السباق خبر .

يزيد : صدقت اوهامك يا بني (يلتفت بتحسر) ما العمل . ما العمل . ماذا اجيب السموأل ؟

شجاع : ما زال منذ سفركم مشرفًا على الصحراء يتفقدكم ولا احسبه الا مقبلًا يستخبر .

الربيع : ويل السموأل ما أشأم ما كان عليه قدومنا .

المشهد الخامس

(يدخل السموأل يتهادى - يقدمون له كرسيًا فيجلس عليه)

السموأل : رأيتكم قادمين فبادرت لقاءكم ؟

يزيد : (بحرقة) لم نقف لهم على اثر .

س : لله ما هذه الخيانة (لبريد والربيع) ابقيا (للباقين) اثر تركونا .

المشهد السادس

السموأل . يزيد . الربيع

س : أراني كنت دارت به الارض . فلا ادري اين المتجه وعلامَ المعوَّل . انا في حصني أمنع من عقاب السما ... وولدي ومهجة فؤادي يختطفه من بين يديَّ قوم لئام أنذال ولا اعرف ما آل اليه امره . يتهددني عبد المنذر في قصري ويتبع الفعل بالوعيد وانا عاجز عن مجازاته على ما جنت يداه ويل امك يا ابن عاديا تقول . جارنا عزيزٌ وجار الاكثرين ذليل . فما أحراك بان تكذَّب وما احراك بان تسمع قهقهة العداة يصيحون بك يا عزيز الجار ويا حامي الذمار إرعَ ولدك . صدقوا وأبي صدقوا . يا للخزي يا للعار . أأبوحن بسري يا يزيد تحدثني النفس أن يد دارم في هذه الدسيسة .

يزيد : دارم ؟ ولكنه اول من عضب لاخيه وحنق على الطماح وكتب اليه . أن رُدَّ عاديا والا أوقعت بك . وهو الذي سيّر الطليعة التي تقدمتها وامر رجالكم بان يستعدوا للحرب . فكيف يكون متواطئاً مع عدونا ؟

س : صدقت يا يزيد . وهذا ما ينفي عني العلم الاكيد بخيانته . غير اني لا استطيع ان ادفع عني الارتياب . فان هناك ظروفاً كلما تبصَّرت فيها لاح لي أن يداً اثيمة نسجت سداها ولحمتها .

الربيع : سيدي لا تدع غياهب الشبهات تسطو على عقلك .

يزيد : ان دارماً كريم وابن كريم فلم يكن ليضع ولده في وعاء اللئام .

س : ان الحسد يفسد الطباع اشرفها والاخلاق اسماها يا يزيد . وان دارماً تغلي في فؤاده مراجل الحسد فكم مرةً رمقته فرأيت وجهه يتقلب اذا ما فاز عاديا بغلبة . او حاز شرفاً . فبينما الكل يلهجون بالثناء الطيب على عاديا اذ هو وحده يلسعه بقوارص لسانه . وعاديا مع ذلك لا ينفك يداريه ويداليه . فكيف لا اخاف ان يتغلب شيطان الحسد على دارم فيحمله على ما يأباه الشرف وينهى عنه الله .

... يع ... ...

س : أعجب منكم كيف تشاغلان عن دارم وانتما سلطان تا يضر لكم من الشر .

يزيد : نبذنا الشر ظهرياً ايها الامير وقد تذكرنا ان دارماً ابن السموأل مجيرنا الكريم .

س : جازاكما الله عني خيراً نعم ان دارماً ولدي والولد على ما نشأ ابوه عليه فهل ينبت الغدر في مغرس الكرم والوفاء .

شجاع : سيدي هذا رسول الطاح على الباب يستأذن عليك .

س : رسول الطاح أدخله حالاً عسى ان يكون الشر الذي ينذر بـه اخف من الذي نتوقعه (يخرج شجاع) يا قلب لِمَ تخفق لِمَ تضطرب اهذه اول مرة عضك ناب الزمان .

المشهد السابع

السموأل . يزيد . الربيع . شجاع . الرسول

الرسول : نعم صباحاً ايها المولى الخطير .

س : حييتَ بأمثل من اين أتى ؟

الرسول : من عند سيدي الطاح .

س : واين هو ؟

الرسول : لا ادري فقد تركته منذ ثلاث .

يزيد : (على حدة) سحقاً له ما أوقحه فهذا ايضاً من دسائسه .

س : عساك تحمل الينا ما يطيب سماعه ؟

الرسول : هاك رسالة سيدي تجد فيها كل ما يهمك معرفته (يقدم الرسالة) .

س : (يقرأ الرسالة) أما بعد فقد نصحتك فلم تنتصح . وحذرتك من غضب المنذر فلم تعبأ بالمقال وثقت باسوارك المنيعة وابراجك الشاهقة فلا خير لك فيها وليك مـا ينصه سيدي المنذر : اما ان تسلم ابن الكندي

وادرعه . وامتطى جواده . وقصد . وقد مضت الى عد ساعة يتقلص الظل وترد الاس والسلام (سكوت) يا لله ... إما الشكل وإما الغدر .

يزيد : يا للخيانة .

الربيع : يا للفظاعة .

شجاع : تكلتك امك يا لعين انك لاقسى من الوحوش الضارية .

س : (يتالك) اسهروا على معاوية ولا تدعوه يخرج من الحصن ولا يدري بشيء . والآن عليّ بدارم فاني اريد ان اخلوَ به .

يزيد : سيدي اموالنا وارواحنا كلها فداك وفدى عزيزك غاديا فلا والله لانريد ان نكون سبب هلاكه .

س : احسن الظن بنا يا ابن آكل المرار أفتطلب الينا ان نجري على غير ما تمليه المروءة (يخرج الجميع) .

المشهد الثامن

السموأل وحده

س : إمّا تكلل ... وإمّا غدر ... فاختر .. وما اختار ... أن أرى ولدي وحشاشة فؤادي مضرّجاً بدمائه ... أن أقتل أنا ولدي .. ان اطعن بسيفي قلبه الرقيق ... ام ان اسلم وديعة جاري ومن ركن الى وفائي دون الملا طرّاً حتى أسب مدى الاحقاب ويقال باع السموأل دينه وفخر آبائه ليشتري هناءة عيش قصير ... هذا ما يسومني . حزن دائم او عار لازم ويلك يا طماح من انت أبشرٌ ام قذيف الجحيم ... لا وربي لم يخطر على بال أنسيٍ ما رأيت . انما ابليس اللعين أملى عليك ما سطرته يدك الشريرة ... اوتحسب انك تغصبني على نقض عهدي وتسليم وديعتي ... ساء ما توهمت فلن يغلب لؤمك كرم السموأل ... هوذا دارم بيده حبل نجاتنا ... ربي ساعدني فقد جعلت عليك اعتمادي ومتكلي .

المشهد التاسع

السؤال . دارم

دارم : دعوتني أبتِ ؟

س : وفد علينا رسول حاملاً جواب الطاح :

دارم : وماذا يقول :

س : خذ واقرأ (يقرأ دارم والسؤال يتفرس به ، سكوت) .

س : (بعد قراءة الكتاب)

دارم : وهل في الامر للتردّد مجال ! يخيّرك المنذر بين مسالمته وحفظ حياة عزيزك وبين تسليمك ابن عدوّه وادرعهُ فكيف يمكننا التوقف .

س : اذًا لا سبيل الى التملّص فإمّا الشكل واما الندر ولا ثالث بينهما .

دارم : معاذ الله ان أُشيرَ عليك بالغدر وابن الغدرُ من ارضاء ملكٍ جبار وانقاذ عاديا من المهالك وعدتَ الكندي بضيافة ولدهِ وصيانة دروعه ما دام الوفاء مستطاعاً أمّا وقد أضحى من المحال فالاخلافُ حلال بل هو لعمرُ الحق ضربة لازب علينا لان به حياة عاديا .

س : وعدت الكندي ان اجيرَهُ حتى من المنذر والحرُّ اذا وعد وفى واذا أخلف غدر .

دارم : على الحرّ الوفاء ما لم يكن الوفاء اهراق الدماء .

س : أعجبُ منكم أرباب السياسة كيف تمرّحون الباطل وتجاونه في معرض الحق . ومتى كان الخوف من الموت للانسان مُبطلاً متى كان حبُّ الحياة للحرمات محللاً ؟ متى كانت منافعنا للعدل والمروءة ميزاناً ؟ او يصبح الشر خيراً لان به سلامتنا او يصبح الظلمُ عدلاً لان به حقن دمائنا . لا وايمُ الله انَّ الشرَّ شرّ ولو بـه أحرازُ الكنوز والظلم ظلم ولو به حياة النفوس . هذا منهجي هذا منهاجُ أجدادك .

دارم : وهل يأمر الله باهدار دم زكي لحفظ الوديعة .

س : يسهى الله عن اتيان المنكر ولو به ملئ الارض كلها . أليس هذا ما تعلمتهُ في الجيزة يا ولدي .

دارم : (على حدة) ما هذا الصوت وما هذا التفرس ؟ أو يرتابُ في امري ؟ تعلمتُ مولاي ان حياة الانسان اثمن من قطع حديدية وان وديعـة . تعلمتُ ان الاب اذا خُيِّرَ بين حياة ولده وحياة أجنبي لا يحقّ له التردّد وان . . .

س : (يقاطعه) وان فضّل الاجنبي فقد ظلم ؟ (سكوت) اذن نِعمَ الظلم فادعني ظالماً ان شئت .

دارم : ابتِ أبتِ دَم اخي لا تُهرقهُ .

س : ودم البريء معاوية ألا أحقنهُ ؟ أتنتصبُ أنتَ يومَ الحشر امـام الديان العادل لتغسل عني اثره . . . أتقومُ أنتَ من الاموات لتناضل عني . اذا ما سبّني الخلف وردّدوا وجهي .

دارم : يا للعجب أأنا دارم أدافع عن حياة اخي . وأبي أبي يأبى الا قتله .

س : ان كانت حياة اخيك عزيزةً على قلبك فتجنّبني وايّاي .

دارم : قُل كلمة يرجعْ ولدك .

س : ويُداسُ شرفي ويُدنّس عرضي لا لا يا دارم مـالي وأهلي وولدي ولا عرضي ولأن اموت ثاكلاً خيرٌ من أحيا ظالماً هذه عزيمتي لا انثني عنها ابداً وان أردت اسعافي فاسعَ في ارجاع اخيك تنل رضاي .

دارم : (على حدة) واحيرتاه ما كان هذا في الحسبان .

س : ما لك صامتاً يا دارم . . . آه اجبني قُل لي ابتِ انا مُرجعٌ اخي يدُك في يدي فهذه اول مرة تنازل السـؤالُ فـأل . وإلّا أيقنت ان يد ابني دارم في المكيدة التي وقع فيها عاديا .

دارم : ربّاه . . . سيدي أوَ يُخالجك ريب .

س : لعلي ظالمك لكن الشك يمزقُ احشائي فاسمع لي ورقّ لحالي . . تراكمت الشبهات في عقلي وكلما حاولتُ كشفها ازداد تكاثفها فانا بينها كالغارق

في لجج البحار كلما اراد مقاومتها غطتهُ بعباب تيارها حتى اذا خارت قواه كفنتهُ باكفانها المائعة وحجتهُ جثةً باردة على شواطئها . يا دارم يا بنيَّ لا يكونَنَّ هذا مثلي . بدَد هذه الغيوم المتلبدة حدَّيْ هذه الامواج الثائرة في قلبي . قُل لي انها اوهام وارجع أخاك . . . ألا تُجيب .

دارم : لا أرى الى ارجاع ولدك غير ما ذكر الطماح سبيلًا .

س : كفاني كفاني تذللًا امام ولدي كفاني تردُّدًا . لقد انجلت الحقيقة امام عيني . لا يا مخادع لا يا مخاتل . لا همَّ لك باخيك وانما همك ابعاده عن الامارة واستلام زمامها بعدي . انت تعلمُ حق العلم ان رجوع امرئ القيس ابطال سلطة ابن ما. السماء انتَ تعلم ان الكندي عاجز عن بلوغ مأربه ان كان وحيدهُ وخافقهُ في قبضة ملك الحيرة . هذا ما يحملك على السعي في تسليمه لصاحبك واسترجاع اخيك . . . ما لك تضطرب أتراني لم افهم مكائدكم .

دارم : يا الله . . سيدي . . أوَ تظن .

س : حسبك دهاء اي والله لولاك لما نجحت دسيسة الطماح .

دارم : وحقك يا سيدي دمي فداء اخي عاديا .

س : دمك فداء اخيك عاديا ؟ انما أنتَ قاتلهُ .

دارم : ابتِ .

س : لا تتقاضَ لا تتجاهل أنتَ أنتَ رميتَ اخاك في الورطة التي سقط فيها . لا تحسبني اعمى اصم لا أبصر ولا اسمع ؟ باذا كنت مشتغلًا مع الطماح يوم السباق ؟ لماذا لم تنزل في الميدان بعدما كنت عولت عليه . لِمَ منعتَ فرساننا من اللحاق بالغادر ؟ لِمَ أبيتَ تضرعي . أي وأبي لانتَ الجاني . لأنتَ تحسُد أخاك فأردتَ ان تتخلص منهُ . ليصفو لك الجو وتصبح الخلف الوحيد في الامارة .

دارم : (يقاطعه) ابتِ ابتِ .

س : فلا وحق من بسط السماء لا وتربة أجدادي لا ودم عاديا الذي تتلطخ

به لا اعرفك وانا منك بري. سيموت عاديا سألحقه انا الى القبر ولكني أسلم الوديعة لصاحبها . واما انتَ يا ولدًا عاقًا فلا تفيدك مكيدتك ذرةً . تراني شيخًا عاجزًا عن ارغامك ولكن الله جعلَ بيدي سيفًا قاطعًا سيف نقمته (دارم يتضرع : رحماك رحماك) فان لم ترعو فاخشَ قوارعَه . اخشَ حكمهُ اخشَ لعنتهُ . لعنة قابين على قاتل اخيه ومدنس عرض ابيه (يخرج)

المشهد العاشر

دارم (وحده)

(يتبع اباه وهو خارج حتى الكوليس) ابتعِ مهلًا مهلًا . يحق عاديا لا تلعني لم اقصد قتل اخي انما طلبت اعلاء شأنك فآل الامرُ الى ما لم يكن في الحسبان

(ابوه لا يجيبه فيرجع دارم الى المرسح) عبثًا انادي . . . عبثًا اتضرع ، عبثًا ابكي . قُضي الأمر . لعنة قابين على قاتل اخيه. لعنة ابي عليَّ لعنة دائمة يا لله. يا للفظاعة . يا للحمل الباهظ هذه ثمرة طمعي لا كانت ساعة سمعت قولك يا طماح السوء .

(متهيجًا) آه ماذا اشعر يد حامية ترسم كاوية على جبيتي احرف نارية قابين قابين . (يغطي رأسه ، بعد سكوت) ما العمل لا استطيع للكوث هنا اينما ذهبت لعنني رجال ابي ابن المقر أأرجعُ الى المنذر أأنزح الى البلاد البعيدة أأتوغل في الصحراء ولكن اللعنة ترافقني فهي مسطرة على وجهي ويلاه واسي واسي (سكوت)

(يسمع صوت غناء نشيد) على الله جعلت اتكالي فهو ابو اليتيم وملجأ الضعيف . على الله جعلت اعتمادي فهو يصغي الى صلاة الصديق البائس ولا يزال تضرع الاثيم التائب انه الرحيم الغفور .

(يردد كلام النشيد) انه الرحيم الغفور صدق انه الرحيم الغفور خاطر يخطر في بالي وان سعيت في تخليص عاديا. . .هلا تعفي يد الرحمة ما سطرت يدُ النقمة (يبقى متأملًا فرحًا ويسدل الستار)

الفصل الثالث

في معسكر الطماح

المشهد الاول

بالقرب من خباء عاديا الطماح وحده

الطماح: لقد واللات نجحت دسيستي فوقع العصفور في شركي كيف رأيت يا سوأل دهاني أو تعترف الان ان من عاندني انزلت به العار ؟ لا بدَّ من اذلالك ايها العاتي او تذعن صاغرًا لاوامري. . . ان ابن امرئ القيس وادرعه وسيلتي لنيل العلى فلِمَ تقف في سبيلي لِمَ تحول دون مرامي ولكن ان أبى تسليم الوديعة . . . لست احبه فاقد اللب والرشد حتى يتردّد في الاختيار بين ابنه وجاره ولكن إن أبى . . إن حملته عزّة النفس على تضحية ولده في سبيل الوفاء . . . أأقتلنَّ الولد ودارم اخوه له عند المنذر المنزلة الرفيعة ؟ . . اذًا يا طماح اترك ما طمحت اليه نفسك من المعالي . . . إنس ما قاله لك المنذر : ابن الكندي ودروعه ولك المنزلة الثانية بعدي في مملكتي . إنس الوعد وارض بالذل . غدًا تصبح أحدوثة يهزأ منك البدوُ والحضر : هذا الطماح حسبناه داهيةً فإذا هو اسخف الناس رأيًا. واللات. والعزّى لأحققنَّ أمانيَّ وان سالت الدما. . . لو استعنت بعاديا ايضًا على ابيه هذا منتهى الدها. . أتوعّده فاذا هلبني طالب الى ابيه ان يرحمه ولا شك ان دمعةً من مقلته ترجع الشيخ عن قوله (يصرخ) يا غلمان (يدخل غلام) عليَّ بالاسير حالًا.

الغلام: سمعًا وطاعةً سيدي (يخرج) .

طماح : ترى باي وجه ألاقيه فاني منذ اختطفته أتحاشاه. . . ثبت الجأش ياطماح. . . أيروعك منظر فتى اعزل ولكنَّ للنفوس النقية هيبةً تحمي عرضها وتمنع ضعفها .

المشهد الثاني

عاديا . طماح

الطماح : اهلاً بالامير .

عاديا : كان يليق بالعبد ان يزور الامير لو شاء القيام بما عليه .

الطماح : (على حدة) سوف تخفض من كبرك يا شاب (لعاديا) لا شك في ذلك ولكني خفت ان الاقي بزيارتي لك ما لا أحب وقد سبق لي ما سبق من قبح الصنيع وسوء الجفاء .

عاديا : اذ تقرّ بإثمك فليتها ندامة صادقة .

طماح : أسأنا اليك ايها الامير ولكنّ للضرورة احكاماً ولولاها ما نغّصنا فرح ذاك اليوم السعيد وقلبنا العيد مأتماً وحرمناك قصبَ السبق في المضمار بل لكنا اول من هناك بالنصر .

عاديا : (على حدة) لا ادري لِمَ تنفر نفسي من هذا الرجل ومداهنته (للطماح) لسنا ممن يُنكر الصباح على من اعترف بإثمه .

طماح : ايها الامير لسنا نريد بك ولا بقومك شرًّا وكيف لا تداريكم وانتم عند سيدي الملك في المحل الرفيع الذي لا يُرام ايجوز للعبد أن لا يكرم من كان الملك يكرمه .

عاديا : ما من احد ينكر ما اولانا المنذر من النعم فليس المقام مقام ذكرها .

طماح : العفو يا كريم دعني اذكرها ليتضح لك ما قابلتموه به من سوء المعاملة .

عاديا : أوَ تعرّض بابي ؟ وبيتك ألهذا دعوتني فان كنت تتوقع مني ان اجاريك في هذا الميدان فبئس الظن ظنك .

طماح : لا اعرّض بأبيك وهو الكريم ابن الكرام . واذا خدعه كرمه فخيّل له انه من الامانه معاندة ملك جبّار لاغاثة الملهوف نعم المحافظة على حرمة الجار ولكن بئس الكرم وبئس الوفاء ان كانت عاقبته اغاثة ابن ماء السماء وجرّ الويلات على آل السموأل .

عاديا : نِعمَ الكرم ونعمَ الوفاء. ولو شريناه بدمائنا . هذا ديدننا يا طباح فان طُبعتم على غير ذلك فهذا لكم واما نحن فقد جرينا ولسوف نجري على ما خطه لنا اباؤنا وعلى كل حال لا سبيل هنا الى تأثيم والدي ولا على الابن ان يقضي على ابيه فدعنا من هذا الحديث .

طباح : لقد فرطت يا فتى وما كنت لاحسبك في هذه الدرجة من الغباوة أوتظن أني أتيتُ بك لاكرمك .

عاديا : الحمد لله الذي كشف الرغوة عن الصريح كنت عالماً ان الطباح يروغ كما يروغ الثعلب .

طباح : اريد ان تساعدني على نزع ابن امرئ القيس والادرع من يد السوأل ابيك .

عاديا : انا ؟ لقد اعماك الطمع يا طباح فضلاً عن ان أبي لا يحتاج الى مشورة انسان فالمروءة تملي عليه ما ينبغي له فعله .

طباح : لا بد من ذلك والا هلكتم .

عاديا : وممن نخاف .

طباح : أوتجهل يا غبي عظمة المنذر بن ماء السما. أوتجهل انه ما اقدم على امر الا نجح ولا رمى سهماً الا اصاب أوتجهل انه اذا اراد ان يحكم لم يحل دون مراده حائل .

عاديا : سوف تتحطم قواه على حصننا المنيع وتتكسر شوكته على أسه السما. فلا نخشى عسكرًا ولا نهاب عددًا .

طباح : عدوك في حصنك يا فتى عرًا .

عاديا : كذبت يا عبد السوء ليس في قومنا خائن .

طباح : وسعني شتماً يا ايها المتشامخ بانفه فلأرغمنه بكلمة . عدوك في حصنك عدوك اخوك وهو الذي سلمك ولولاه لما نجحت مكيدتنا .

عاديا : أخي أخي ! ويلاه !

طباح : (يتنهد) ابن إباؤك ابن عزة النفس. اخوك يده في يد الطباح ابن السوأل

شريك عبد السوء بل هو ادنى منه لان الطمع يسعى على غريب وهو عاديا يسعى في هلاك اخيه .

عاديا : أخي أخي واحرقة الفؤاد !

طماح : كفى ايها الامير تلوعاً بل اعلم اني صدقتك لما قلتُ لك ان اسوارهم اضعف من ان تخلصكم من ايدي المنذر فلا تتعرضوا للهلاك ولا تتورطوا في المعصية .

عاديا : ان جحد اخي سنن اجداده . ان ضل عن نهج الحق فجرّه الطمع الى الغدر فاعلم يا طماح ان عاديا وابا عاديا لا يزيغان عن الهدى ولو سقطت السماء على رؤوسنا .

طماح : هذيان .

عاديا : بل قل شهامةٌ لا تسمو اليها نفسك الدنيئة .

طماح : (بغضب) أوأتيت تشتمني وانت في قبضتي ؟ أكتب الى ابيك واطلب اليه ان يعير أذناً صاغيةً لمطالب المنذر والا ذهبت انت ضحية تعصبكم . فإمّا دمك واما الوديعة فاكتب فلا أحسبُ أباك يتمنع اذا طلبتَ منه دمك فكّر في الامر وانا راجع اليك بعد هنيهة .

المشهد الثالث

عاديا وحده

عاديا : رباه ماذا طرق آذاني ؟ الموت او تسليم الوديعة . ولكنه لا يقدم على اقتراف هذا الاثم الفظيع وما ادراك يا عاديا ما ادراك ما الطمع في المعالي فقد قتل كثيرين وحملهم على اقتراف الجرائم . . . والطماح لا يبغي سوى مرضاة ابن ماء السماء سوف يوقع بك لا محالة . فودع الدنيا يا شقي الحال لقد دنا اجلك . . . أأموت وانا بريعان الشباب أأموت ولم اذق من الحياة حلاوتها أأموت واترك ابي وحده . . ولِمَ أتأسف على

الحياة أبعدما دنس اخي عرضنا تتوق نفسي الى هذه الدنيا الدنيئة كنت فيما مضى أتيه بحسبنا وكرم قومنا وكنت أرفع الراس الى الثريا افتخارًا باهلي واما الان فقد زال عزي ومجدي وان طفتُ بين احيـا. العرب قالوا هذا اخو الغادر الخائن صاحب الابلق... لا تحلو الحياة بعد موت شرفنـا مُت يا عاديا مُت فعلى الاقل يكون موتك تكفيرًا عن اثم اخيك فان الله يقبل دم البرئ تعويضًا عن الاثيم .

نجومَ السما ني اليـك نجيتي ... فـاني اراك اليوم آخر مرة
يقولون لي فوق الكواكب جالسٌ ... على العرشِ يرعانا اللهُ البرّيّةِ
فكم خلص المظلوم من كيـد ظالمٍ ... وكم خاص المكروب من شرّ نكبةِ
عساهُ ينجيني ويرحمُ والـدي ... هو العادلُ الرحمان ربّ البسيطةِ

المشهد الرابع

عاديا . دارم ومسرور (متنكرين)

(في آخر المشهد السابق يدخل دارم ومسرور متنكرين ويمشيان بتحفظ)

دارم : (على حدة) هو وحده (يقترب يترك مسرورًا ينخفر) .

عاديا : (يلتفت في آخر كلامه يرى دارمًا ومسرورًا) من الرجـلان لعلهما رسولا النقمة . ما لهما يتحفظان ويتطلعان من كل جهة ... من انتما ؟

دارم : (يرفع اللثام) اخي عاديا .

عاديا : دارم هنا في هذه السـاعة ؟

دارم : انا هو وهذا مسرور عبدي الامين واقفًا بالمرصاد .

عاديا : (بمرارة قلب) اتيت لا شك لتؤازر الطماح . أتيت تطلب اليَّ ان البحَّ على ابي في تسليم الوديعة وانتهـاك حرمة الجار . أتيت لترى كيف يموت اخوك ضحية الوفاء بل ضحية مكائدك كنت في غنى عن ذلك فسوف يصفو لك الجو اذا ما غيبني لحدي وأمات الحزن ابي من بعدي

فتصبح انت السيد الاعظم المطاع فاهنأ ولكن دعني اموت بسلام .

دارم : (هو عالم بكل شيء) لا اعجبُ من كلامك يا اخي ولأنا احق الناس باستماع قوارص الكلام واحتمال لواذع الملام ولكني ابنُ السوأل وابنُ السوأل كريم ولو غره الطمع ساعة .

عاديا : اتيت اذًا ؟

دارم : مستغفرًا ومجيرًا وقد أوصلتني العناية الالهية الى مقامك ولم تنتبه لنا العيون فان رجال الطماح يعرفون اني صاحب سيدهم فظنوا اني اتيتُ اليه في بعض مهماتي فما عرضني احد ولكن ليس المُقامُ مقام كلام (يترع رداءه ولثامه) خذ ردائي .

عاديا : ما مرادك .

دارم : . . . لما رأيتُ اني متهمٌ وما كنتُ اظنهُ يتتبع ويفضل موتك على تسليم الوديعة ندمتُ على ما جنت يدي وانا لا أريدُ بكَ شرًا وانما بغيت مرضاة المنذر من كانت له عليَّ الايادي البيضاء . وعزمتُ على نجاتك فالبس ردائي واخرج مع مسرور فان الخيل قريبة من هنا فيظنك الحُفراء انا فتبغني آمنًا وتبلغ الى الابلق سالمًا .

عاديا : سبقيًا لك يا اخي فاني ظالمتُك .

دارم : عجل يا عزيزي مالك .

عاديا : فات ما فات يا اخي كفاني تعزيةً ان دارمًا لم يخن شرف آبائه وكرمَ اصله واما أن أتركك هدفًا للموت بدلًا مني فهذا لا تطاوعني عليه نفسي .

دارم : ليسَ عليَّ خطر فاذا نجوتَ انتَ رجعتُ انا الى الابلق أوَ تظنُّ ان الطماح يجسرُ على مسّ شعرة من رأسي وهو يعلم بحبة المنذر لي . فعجّل واذا وصلتَ الى القصر قل لابيك ان دارمًا . . . (ينف متأثرًا)

عاديا : ما لكَ .

دارم : آه ما اثقل لعنة الوالدين . . . لعنني ابي وثنّاني قابين .

عاديا : حسرتي عليك يا اخي ما اشدَّ ما تقاسي من العذاب ولكن تق بالله فانه قد دقال عثرتك فما هي الا سكرة ساعة ازالتها الفكرة وكفرت عنها الدموع . واما ابي فلا يلبث ان يرجع اليك صافي مودته فان قلبه لا يزال يحن الى بكر ابنائه .

دارم : سمع الله دعاءك يا أخي ولكن بحياتك عجل بالخروج والا فاتتنا الفرصة . . . ما بالك تتردّد ؟

عاديا : يشق عليَّ ان ادعك في هذا الوقت الحرج هدفاً لسهام الاعداء بين مخالب المنية .

دارم : لا لا تخف قلت لك ان الطاح عبد ذليل لا يتجرأ على أذيتي .

عاديا : وان طاش سَهم فانك اكون انا سبب هلاكك اولى بنا ان ابقى انا وتذهب انت ساعياً لنجاتي .

دارم : لا حول ولا قوة الا بالله (لاخيه) لا يسعني العمل الا اذا ازحت عن عاتقي الحمل الذي يبهظني فاذا رجعت الى ابي وعرف توبتي واسفي رقّ لحالي وتناسى اثمي وان كان لا بد من سفك الدم فمن اولى بتضحية دمه مني . انا زرعت الشر فعليَّ ان احصد الوبال فانجُ بنفسك ولا تطل الوقوف بحق والدنا يحق حبك لي وان ابيت الا البقاء تيقنت انك لم تصفح عن اثمي .

عاديا : أخي ! (يلبس رداء اخيه ويعطيه رداءه)

دارم : بَدارِ بدارِ عساك تبشرني بالعفو العاجل .

عاديا : (يقبل اخاه) جعلت فداك من كل مكروه .

دارم : عما قريب نلتقي .

عاديا : عما قريب ان شاء الله . (يخرج مع مسرور)

المشهد الخامس

دارم : (وحده ينظر من حيث اختفى اخوه) ها قد خرج من المعسكر فقد نجا آه كان الجبل تزحزح عن عاتقي فاني اشعر من نفسي راحةً عدمتها منذ ساعات طوال . . . ارفع الآن عينيك يا دارم الى السماء بلا حياء. فان لك رجاء بانَّ الرب غفر اثمك . . . ما احلى هذه الليلة ترى ما للكواكب يزداد لمعانها . . . ما لها تراقبني بطرف يحنُّ عليَّ ويرق لحالي كانها رأت ما فعلتُ تكفيرًا عن خطيئتي فاستصوبته . . . أنيريني يا نجوم السماء تلألأي وقولي لي ان الاله رفع عني غضبه . . . اضيئي على رأس ابي المسكين وبشريه بقرب الملتقى بابنهِ عاديا. واعذُريني واشهدي وقولي . . . اثمَ ابنُك فتاب . قولي لهُ دمُ السموأل دم طاهر كريم يأبى الدنايا ويؤثرُ المنايا . . (يسمع صوتًا) من القادم ؟ لا شك ان الطماح آت فان هذا مضربهُ فعليَّ ان اتجلَّد حتى يبتعد عاديا فيعجز الطماح عن ادراكهِ . . ما أحرجَ الموقف ولكن لا بأس فان الموت اهون عليَّ من الحياة .

المشهد السادس

دارم . الطماح . رجال

الطماح: اما غرني البصر . . . أأنت هنا ؟ أنبئتُ أنكَ أتيتُ اليَّ فلما لم تجدني قفلتَ راجعاً مع فارسٍ آخر . . . ما لي اراك وحدك اين الفارس واين عاديا .

دارم : نعم أتيتُ في حاجةٍ اليك واما رفيقي وعاديا فانهما ليسا ببعيدين .

الطماح: أملي انك أتيتَ تساعدني على نيل بغيتي فان اباك على ما ارى يتمنع من اجابة سؤل الملك ابن ماء السماء وانت تعلم انَّ في تمنُّعهِ من الخطر عليكم ما لا يفوت الشاب الغرّ فكيف بالشيخ الاريب المحنك فهيا بنا نقنع عاديا .

دارم : هذا من المحال لا يسعني مؤازرتك على اتمام مقاصدك ويا ليتني لم أُصغِ الى اقوالك الخداعة .

الطماح: لم أعهدك بعد يراعةً يلويها نفحُ ريحٍ ضعيفة لقد هالك ما رأيت ومـا سمعت في الحصن فخفتَ وجُبنت ولكن ليس هذا وقت جبانة انما هو وقتُ إقدام وقد كدنا نفوز بالمرغوب .

دارم : ليس الندامة جبانة يا طماح .

الطماح: ادعُها بأي اسمٍ شئتَ على انك لا بد لك من الاقدام والا سقطتَ من عيني سيدك ومولاك المُنذر .

دارم : أن أسقطَ في عين المنذر خيرٌ لي من وَزرِ لعنةِ أبي آه أتعلمُ ويحكَ ما لعنةُ الآباء ؟ هي لعنة الله عينه . . . أتدري ما تحتها . . . هي الجبـلُ الذي يسحقُ أقوى القلوب وأشدّها . هي العقارب التي تلسعُ النفس بلا انقطاع . . هي الافاعي التي تنهشُ الضمير بأنيابها السامة هي الظلمات تحيطُ بالمعونَ من كل جانب فيهيم على وجهٍ . هي الهاوية مفتوحة امام رجليه تبتلعهُ في كل خطوة يخطوها هي النار وحرّها هي جهنم ودودها هذا ما شعرتُ بهِ من بعد ما انقدتُ لتصالحك اوَ تظن ان نعمة المنذر او الامارة او الملك بل ملك الارض كلها جديرٌ بان يُشترى بهذا الثمن لا لا وحق من خلق القلوب وطبع فيها مخافتهُ لا وحق الديان العادل الذي تنالنا يد غضبه حتى في هذه الدنيا . فالموتُ احلى من ذاك العذاب .

الطماح: ارجع الى رشدك فاذا ينفعك الندم ؟ اخوك في قبضتي فلا يراهُ ابوك . الّا اذا رأيتُ بدلًا منه معاوية وادعَ الكندي .

دارم : أخي ليس في قبضتك . أخي بعيدٌ الآن عنا . فقد أفلتَ أسيرُكَ .

الطماح: واسحقتاه . اذًا خدعتني . لقد انجلت لي الحقيقـة وحرّ سقر لأنتقمنَ منكَ شرَّ انتقام . عاديا نجا من أسره . . . واخيبة الآمال (لرجاله) أسرعوا في طلبهِ ! ! ليس بعيدًا عنكم بل انا الحقُ بهِ ولأنتشلنّهُ ولو من بين الساكين (لبعض رجاله) قيدوا عدوَ سيدكم . . . فواللاتِ ان افلتَ اخوهُ ليذوقنَّ من العذاب امرَّهُ ومن التنكيل اشدَّهُ .

(يخرج مع بعض رجالهِ . يبقى دارم مع رجلين بقيدانه)

المشهد السابع

دارم . ورجال الطلاح يقيدونه

دارم : الموت لا اخافه . الموت حبذا الحبر . مرارتهُ حلاوة على قلبي فلا التعذيب يبراني ولا الجراح تهراني حرُّ عذابه طلٌ بارد على نفسي يطهرها من اثمها . ونيرانهُ مقدسة تزيل عنها أقذارها . . . مجدُ السوأل ما ابهاك مجد السوأل أشرق على الاحقاب فلا عيب فيك الآن . مجد السوأل أضيء في سما الاعراب على ممرّ الاعوام . . فما ليلٌ عليك بجانح ولا كسوفٌ منك دانٍ .

أبيٌّ انا ترضى عني ؟ أبطلتُ مكائد الطلاح واعجزتهُ عن نيل وديعتك . . رددتُ اليك ولدك وأرجعتُ شرفك وان أبى عاملُ المنذر الّا الايقاعَ بي فها اني مضحٍّ بحياتي في سبيل الوفاء . . . فارفع الآن يدك وبارك ولدك .

(يجثو ويقع الستار)

الفصل الرابع

رواق في الحصن

المشهد الاول

معاوية وحده يتطلع في الصحراء

معاوية: هذا عسكر الطاح قد أحاط بنا من كل جانب فيا له من رجل خبيث قبّح الله وجهه وجازاه شرّ جزاء. . . . عاديا اخي عاديا ابن انت . لِمَ اختطفك هذا الذئب الضاري. . آه لو ترى كآبة ابيك لمتَّ غمًّا. كل من فراقك حزين حتى فرسك سكاب فانه لم يأكل علفه كأنه يفهم ان صاحبه العزيز اسير اللئام . وأنا أنا . . . آه ما اعجزني عن فك قيودك وارجاعك الى القصر الى ابيك ؟ . . كنت بعد التعب والضنك في أرغد عيش بالقرب من السموأل حتى نسيت مصائب اهلي وصبرت على فراق أبي . . . ولكنَّ هنائي تحوّل شقاء لا أجسر ان ازفر الى السموأل فان منظره يفتت كبدي أمًا ذارم فلا أطيق حضوره فكأني به أصل كل الشرّ . . كان شجاع مولى عاديا يسليني فيما مضى واما الان فكأنه يوبخني ويقول انت سببُ مصابنا . . . وكلما أردت استكشاف سره تغاضى وأفلت من بين يديّ . . لِمَ يكتمونني الحقيقة . . أوَ أكون انا سبب ما حل بعاديا من الاضرار . . آه لو صحّ ذلك لكان الموت اهون عليّ من المكوث هنا . لا بد ان اطلع على الامر .

المشهد الثاني

معاوية وشجاع

شجاع: أما انتبهت يا معاوية الى هذا الغبار المتصاعد في آخر الصحراء ؟

معاوية: غبارٌ أثارته الرياح .

شجاع: لا ! الريح ساكنة انما هذا غبار قوم بل عسكر جرّار .

معاوية: أيكون أبي راجعاً من سفره .

شجاع: ما لم يكن المنذر آتياً لنجدة صاحبه اللئيم.. فليأت . فانّ حصننا يهزأ به وبكل جحافله فلا يخشى الا صواعق السما .. وزلازل الجحيم . وان رجالنا كلهم على حذر فان حاولوا أخذ الحصن غرةً لقيناهم عن آخرهم ضحية عزيزنا غاديا .

معاوية: ليته ابي فانه لا محالة ينجي غاديا وإيانا .

شجاع: (يهز رأسه) تتوهم يا ولدي المحال .

معاوية: لِمَ هذا من المحال أما اتتا نبأ أن ابي قريب وقد فاز برغوبه .

شجاع: امانيك كسراب قفارنا يا معاوية ... صلِّ لعلّ الله ينقذنا من هذه الضيقة .. فانه يُحبّ صلاة الصغار (يهم بالخروج) .

معاوية: (يبكي) بالله عليك الا بقيت معي برهةً .

شجاع: مالك ؟.

معاوية: اظهرت لي من الوداد منذ دخولي الحصن ما عمل في فؤادي .. فأريد أعاملك بالمثل .

شجاع: (متأثر) ما أرقّ هذا الولد ــ يدوم حزني حتى يرجع غاديا .

معاوية: أما من وسيلة الى تخفيف وطأته .. أما تُحبّ الغناء ؟

شجاع: (على حدة) ما أدهاه ــ فقد اصاب مقاتل فؤادي ــ كيف لا أحبه وقد عشقته منذ صباي حتى لا اجد شيئاً يوازيه ولكن ليس الوقت وقت غناء يا بنيّ .

معاوية: لعلك تؤثر الإنشاد فاني كثيراً ما رأيتك تميل الى الشعر . أفتريد ان أنشدك بعض ابياتٍ لأبي كما كنت أنشد غاديا .

شجاع: ابن الملك يقول الشعر ليسلي عبده .

معاوية: دع هذا وقل اتريد ولكن على شرط ان تجيب الى سؤالي .

شجاع: (يفكر) ما عساه يطلب مني ؟

معاوية : بدأ قصيدة ابي الذي مطلعها لا يهمك .

شجاع : هذا الشعر الذي وقع عليه اختياري لم يعجبني في ذلك .

معاوية : ارضيت بالشرط ؟

شجاع : رضيتُ يا خنّاس .

معاوية : (ينشد)

ألا عِم صباحاً ايها الطللُ البالي ... وهل يعمنْ من كانَ في العصُر الخالي

وهل يعمن الا سعيدٌ مخلدٌ ... قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوجالِ

ما قولك في هذا المطلع .

شجاع : لا يجوز ان يكون احسن منه .

معاوية : اسمع الان ما هو احكم وأفخر .

فلو أن ما اسعى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم اطلب قليلٌ من المالِ

ولكنما اسعى لمجدٍ مؤثلٍ ... وقد يُدرِكُ المجدَ المؤثل امثالي

شجاع : (عند انتهاء الانشاد يقبل يد معاوية) غمرتني افضالك مولاي .

معاوية : لا تنس الشرط .

شجاع : قل مولاي فان عبدك طوع يديك :

معاوية : يا شجاع قل لي لِمَ اختطف الطاح عاديا ؟ وما هي مطالبه ؟

شجاع : ويلي خدعني ... إعفني مولاي هذا سري وسر السؤال .

معاوية : لا لا وعدتَ فقم بوعدك ان كنت كريماً . انا علة كل ذلك . اما اصبت ؟

شجاع : (يطرق ولا يجيب) .

معاوية : سكوتك افصح من كلامك . اذن نحن جرحنا الويلات على السؤال . . لعمري صدق من قال عنا اننا قومٌ أشائم .

شجاع : مولاي ان التقادير ...

معاوية : وماذا يطلب الطاح قل بالله عليك .

شجاع: يطلب ان يسلمك للنذر تكون عنده رهناً ويسلم ايضاً أدرعكم . ولكن هيهات ان يرضى سيدنا . استودعك يا مولاي (وهو ينهد) يا خداع يا مكار .

المشهد الثالث

معاوية وحده

معاوية: هذا هو السر الذي طالما اجتهدوا بكتمانه . . . لله درُّ مروءتهم . فه شهامة السموأل ! يفتدي موت ولده وعزيزه على تسليمنا . . . ربي أأضحي سبب هلاك عاديا . . . آه هذا الفكر يمزق فؤادي . مجيري وصاحب نعمتي يُذيقونه كأس الآلام وانا اعيش هنا في الرغد والتنعُّم . . . لا لا . . . أفديك بروحي يا أخي عاديا ساعدني يا رب . . . وماذا اقوى على فعله انا .

المشهد الرابع

يدخل السموأل والربيع وشجاع (يبقى معاوية متنحياً)

السموأل: أما خانك البصر يا شجاع ؟

شجاع: أنظار مولاي .

السموأل: صدقت . . . ولكن ماذا يُفيدنا امرؤ القيس اذا وفد يجد ابني عاديا جثة باردة واباه غارقاً في لجج الاحزان يتوقع ملاقاة ربه بفروغ صبر (يجلس) يا رب ما اسمى احكامك أتجرتُ من كان عادائي غفرتُ لمن أساء اليَّ فما كان جزائي الا ثكلاً بولدي . . . فُجعت بولدي عاديا فالحقني به يا رب فقد سئمت الحياة .

شجاع: ثق سيدي فان الفرج يأتي من حيث لا ينتظر .

السموأل: واي فرج اتوقع سوى فرج القبر ؟ حياة ولدي بيدي . ولكني لا

استطيع ان اشتريه لا بدم ابني . وغربة [illegible] لاعتبار
لا لا . وحق خالقي وديانتي لست مدنساً عرضي يا شجاع ان كنت
تعرف ولدي عاديا . أما يشكو قساوة ابيه . أما يتظلم من حكمي
لاني أوثر ابن الغريب الذليل عليه . أما يموت مكسوداً . كلما خطر هذا
ببالي شعرت بنار الجوى تكوي احشائي وتذيب عزائمي .

شجاع : سيدي ان ابنك عاديا مستعدٌ لاتقاء ميتة صعبة لمرضك وشرفك فلا
يخالجنك في ذلك ريب .

السموأل : لك الشكر مني على حسن ظنك بعاديا . نعم ان عاديا لشهمٌ فهو
يفهم ما اقاسيه . . . لهفي عليك يا ولدي . لقد تهت اعجاباً بك فاقتص
الله مني واراد ابعادك عني فليكن اسمه مباركاً . . . اتت الساعة
والرسول ينتظرُ جوابي يا ابا شقياً أُحكم على ولدكَ بالموت .
(يحمل رأسه بين يديه) .

معاوية : (يتقدم ويجثو على ركبتي الشيخ) سيدي نجتي حرمة الجار . لا تسلم ولدك
للموت إرض بطالب المنذر .

السموأل : انت يا بني . . . كيف ذلك . . . قد علمت بالحقيقة .

معاوية : سيدي لا تُخيب املي دمي في سبيلكم حلال .

الربيع : إسلم يا غلام ما اشهمك وانجبك (السموأل يفهم معاوية) .

معاوية : غمرتمونا يا آل عاديا فلم تبقوا للامتنان موضعاً . أفتكون علة خرابكم
الى الدهر . . هذا لا يرضاه الله هيا سلموني للطماح . اخرجوا الدروع
وليرجع عاديا . وعيشوا بالهناء وانا اعيش في الاسر صابراً . وان خطر
لكم ذكر امرئ القيس فقولوا لم يكن من الجاحدين .

السموأل : شهامتك تعزيني ولكنها لا تثني عزيمتي لست فادياً ابني بابن جاري .

معاوية : لا أريد القيام هنا فدعني اذهب . ألستُ حرًا لوجه الله في غياب ابي ؟

السموأل : انا ابوك ما دام امرؤ القيس غائباً وعدت اباك ألّا يصيبك مكروه
واذا جي فلأُقيمنَّ على العهد ولأُوفينَّ بالوعد .

معاوية : لا حبذا العيش ان اشتريته بدم عاديا سيدي ارحمنا .

السموأل : يشقُّ عليَّ يا عزيزي مخالفتك فليس الى مرضاتك سبيل . أنظر بني الى هذه العمة البيضاء . أترى فيها ما يلطخ نصاع بياضها أفتريد ان اسودها باخفار ذمتي ؟

معاوية : بحق عاديا اتركني وشأني .

السموأل : بحق عاديا دعني لا تلحَّ عليَّ . لا توهن قواي في هذه الساعة الرهيبة .

معاوية : ربي ربي ما العمل .

السموأل : كفاني (يتقدم منهما) حان وقت الذبيحة ايتها العواطف الابوية كفي عن الهيجان باحشاء الوالد هدّئي نيرانك . اليك عني ايتها الخواطر الدنيئة معاذ الله ان استشيرك . يا اله ابرهيم قوني . . . يا من شددت ساعد الاب ليضحي بوحيده قوّني في هذه الساعة الرهيبة . هيَّا ابن الرسول ؟

المشهد الخامس

الرسول : حانت الساعة ايها الامير فان مولاي بانتظار كلمة من فيك ليرجع اليك ولدك . ها انهم قد ربطوه على شجرة ليرشقوه بالسهام ويجرعوه الموت انفاساً فارحمه ارحم شيخوختك .

السموأل : (يتقدم بجلال) هذا آخر كلامي للخاطف الغدار قبل ان نلتقي امام الديان فبلّغه اياه . . . يقول السموأل . . . أقتل أسيرك اني مانع جاري (ثم يخرج ويقيمه الربيع وشجاع) .

السموأل : (قبل دخوله) ولدي قتلتك .

(يرجع متكئاً على ذراع الربيع وشجاع يسنده ثم يرتمي على المقعد) ولدي قتلته ها هوذا . ها هوذا مضرجاً بدمائه ـ سامحني يا ولدي . . . انا قتلتك .

معاوية : يا اله السما . ارحم هذا الاب المسكين .

السموأل : (يئنّ) آه اين انا . . . عاديا . . . آه . . . ما أهول حلمي . رأيتني

كدي اضمر بيني وبيني . لم يمت انا يتجرّع الموت غصصاً بين انواع النكال . . . بنيَّ بني بحق حبي اذا ما شخصت امام الله فاضرع اليه ان يرحم اباك فيرسل اليه ملاك الموت عاجلاً فيجمعني واياك .

الربيع : مدّ في عُمرك . . . وامتع بك قلوب اهلك . فانك اصبحت للمروءة والوفاء آيةً وللأعراب زينةً ومجدًا .

س : ما المجد يا ربيع . . . زهرةٌ تذوي وعرفٌ يفوح . برقٌ يلوح او نغمةٌ تدوي ثم لا يبقى له اثر . . . ما هذا طلبت ولا لهذا ضحيت بولدي (يشير الى معاوية) خانتْ ذمتي ونجيتُ هذا الغلام من الهلاك فاذا رجع ابوه دفعته اليه وانضممت الى آبائي — فلا خير لي في الحياة من بعد عاديا (اموات في المارج) .

الربيع : (يتطلع) ما هذا الاضطراب في معسكر الطماح ؟ ما هذه الضوضاء ؟

س : عواء الذئاب وقد احاطت بابني لتمزقه بانيابها .

الربيع : بل عواء الذئاب انقضت عليها الليوث الكواسر تنتشل فريستها من بين اظافيرها . . . هي وابي اعلام امرئ القيس فيما بين رجال الطماح .

معاوية : رجع ابي ؟ على يده يجري الخلاص .

س : (ينتش) يا الله السماء أيسوغ لنا الرجاء . لا لا وأسفاه سيخنق ولدي نحبه قبل وصول الكندي .

معاوية : يا ملائكة الله . . . إهدي ابي الى مكان عاديا .

الربيع : يزيد معه وهو دليله .

س : يزيد . . فله دره . . عجلوا عجلوا . . أخرجوا حالًا برجال الحصن لمؤازرة امرئ القيس . اطلبوا ولدي . عساكم تبلغون اليه قبل فوات الفرصة — وان صادفتم دارماً فبحقي عليكم لا تمسوه باذى . . انه ولدي .

الربيع : لك هذا منا .

معاوية : وانا اصحبكم (يخرج الكل) .

المشهد السادس

السموأل وحده

س : ساعة واي ساعة ساعة اهوال ساعة يأس وآمال تصعد بي تارةً من قعر الجحيم الى اعلى السما. وتهبط بي اخرى من أوج الرجاء الى اقصى الشقا. هلا قبلت ضحيتي يا رب واكتفيتَ بصدق نيتي هلا يكون امرؤالقيس الملاك ارسلته ليمسك يدي عن الذبيح آه يا لخفقان قلبي . مات ولدي ضحية وفائي .

المشهد السابع

عاديا يدخل يتكلم ابوه

عاديا : لا يا أبت لم يمت ولدك .

س : رباه . . . أأنت هو ام خيال ولدي أتى من العالم الخفي يعزّي اباه .

عاديا : أبي أبي أنا هو أنا هو عاديا .

س : بنيَّ وافرحتي . . . نعم هو هو (يتعانقان) اما مسك ضرّ يا بني . . . أما جرحوك ؟

عاديا : انا بسلامة ابتِ . ولقد كنتُ طرتُ اليك من البارح لو لم يحدق الاعداء بالحصن كالسوار فاختبأت في الصحراء ولما ارتخى نطاق الحصار بفضل امرئ القيس وعساكره بادرت اليك من باب السرّ قبل ان يقتلك الاسى فاحمد الله سيدي .

س : الشكر لك يا أرحم الآباء طلبت منك الموت والان اسألك الحياة . فان الفرح قتال . . ولكن يا للعجب !

عاديا : ومِمَّ تعجب ألم يطلعك دارم ؟

س : دارم آه لا تلفظ هذا الاسم لئلا ينكأ الجرح وقد كاد يندمل .

عاديا : ولكن هو هو يخلصني انا اخوك ؟

س : دارم يخلصك وقد خلته بين اسنتك متآمرا معهم عليك .

عاديا : أغواه الطمع ساعة فانقاد لمشورة الطاح . لا انه لما رأى نتيجة مكر ذاك الخداع وسمع صوتك يقذفه باللعنة ندم على ما فات وأتى المكر سرا وترع رداءه فارتديت به ونجوت . اما هو فقال لي انه سوف يلحق بي اما رجع بعد ؟

س : لم يرجع بعد . . . والذي رُبط على الشجرة ليُرمى بالسهام . . . ايكون دارم الذبيح ؟

عاديا : وحرق كبداه أأوقع الطاح به وقد طالما اظهر انه آمنٌ شره .

س : هو دارم رُبط على شجرة العذاب . . . ويحي أأفقد ابني ثانية بعد ما وجدته . . . يا شهماً لم اعرفه . . . ويا كريماً ظلمته . . . ربي لا تؤاخذني بفعلي . . . ولكن مهما كان من امرك فتعزيتي في شهامة ولدي . . . فقد اتضح ان الوفاء شيمتنا وان الخيانة لا تنجع في ارضنا .

عاديا : أبت أبت باركه فانه لا يبتغي على الارض سوى رضاك .

س : باركك الله يا بني ومحا عن وجهك اثار اللعنة . باركك الله وقبل تحسرك ودموعك . . . لعنتك في ساعة اليأس فكانت اللعنة سبب عذابك وعساها لا تكون علة موتك . . . لعنة الآباء ما أنفذ سهامك .

عاديا : تراني حزيناً وقد كنت وعدت النفس بالفرح الدائم . خدعني اخي والا لما رضيت ابدا بالمبادلة .

اصوات : لنا النصر لنا النصر (الاصوات مختلطة يسمع منها صوت لنا النصر) .

عاديا : تبدد الاعداء وعساكرنا في اثرهم (يتوجه الى الباب) هذا اخي دارم يحملونه . . أحيٌ هو بعد ؟ بلى انا هو مجروح (يخرج الى لقائه) .

س : (يحاول المبادرة الى ابنه ثم يرتمي على المقعد) خانتني قواي . . آه .

المشهد الثامن

(يدخل دارم متكئًا على شجاع وعاديا ومعاوية معه)

دارم : (يحاول الركوع امام ابيه فيسنه) باركني ابتِ فاموت سعيدًا .

س : (يضمه) قد باركتك يا عزيزي ولقد غسل دمك الكريم نفسك الشريفة فهي انقى من الثلج . . فانس ما مضى فما أحد ههنا الا يُثني على جميل فعالك .

دارم : اشكر الله على هذه المنة . تعال الان يا موت .

عاديا : لا يا اخي لن تموت لأنت اجدر بالامارة منا . فلا حرمنا الله امثالك .

دارم : يا معاوية هلا تغفر لي .

معاوية : جُعلت فداك ايها الامير . . . أتستغفر مني وقد سفكت دمك في سبيلي .

دارم : (لابيه) والان ابتِ اطلب اليك والى عاديا قبل مماتي ان أُسلم بيدي وديعتك الى صاحبها فاني اريد ان أُظهر امام الملا ان بني السموأل يماثلون اباهم في الوفا . واني وان عثرتُ فقد اقالني الله وان شاركت في الغدر فقد كان دمي شاهد ندمي .

عاديا : جاري اصبح جارك فقد اشتريت بدمك حق اجارته . . . وهاك امير كندة مخاصمنا مقبلًا . (معاوية يذهب الى لقائه) .

المشهد التاسع

امرؤالقيس وفرسانه . . . السموأل واهله

امرؤالقيس : اهنأوا يا اوفى الناس فقد جمع الله شملكم وكسر شوكة اعدائكم وشتتهم ايادي سبا . . وأذلَّ رئيسهم الطماح فاني عفَّرت رأسه بالتراب وجعلته فريسة حسامي ثم غادرته للوحوش مأكلًا .

شجاع: قال احمد حزبه .

السموأل: اسمي ما شوكتك يا امير كندة ودام عزك .

ا. ق: ملكني ولدي فداك يا ابن عاديا ولو فدانا دمنا اجمعين لما كان مجانب فضلك شيئاً عفوت عني واجرتني ومنعت وحيدي وبدلت ولدك حباً به فكيف نشكرك فهاك نصف مملكتي لك او لمن تحبه من ولدك .

س : ان ابيع الضيعة لا وحق امير كندة فقد نلت جزائي وما اوفاه ألا وهو وفا. ولدي فاقبل وديعتك من يده انها لوديعة متقدسة طهرها دمه الزكي . (دارم يسلم سماوية والادرع لامرئ القيس .)

امرؤالقيس: اكل السموأل ايها الجود — فجودكم بحر فضل غير محدود
صوت المنادي يدوي في الملا الآتي — عجيبة ظهرت تحت السوات
صان الوديعة صوناً بالدم الجاري — ضحى السموأل عليه فدى الجار

السموأل: يقضي الوفا على الانسان احيانا . . . بالموت بذلاً فتيمم الموت ان كانا